القضايا الاجتماعية في مسرحيات سعد الله ونّوس

(Al-Qadaya Al-Ijtemaeiya fee Masrahiyyaate Saadullah Wannous)

بحث قدم إلى جامعة جواهرلال نهرو لنيل شهادة

ما قبل الدكتوراة

الباحث

إنعام الآزاد

تحت إشراف

البروفيسور مجيب الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو- نيو دلهي – 67

2016م

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11 2671 7525

Dated: 26/07/2016

DECLARATION

I hereby declare that the material in this dissertation entitled **"Social Issues in the Drama of Saadullah Wannous"** submitted by me is in the partial fulfillment of the requirements of the award of the degree of **Master of Philosophy** of this university. The dissertation is original research work and it has not been previously submitted for any other degree in this or any other University / Institution partially or fully.

Inamul Azad
(Research Scholar)

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for evaluation.

Prof. Mujeebur Rahman
(Supervisor)
CAAS/SLL&CS/JNU

25/07/2016
Prof. Rizwanur Rahman
(Chairperson)
CAAS/SLL&CS/JNU

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حامدا ومصليا، أما بعد "ربي زدني علما".

إن سعد الله ونوس مسرحي شهير وأديب عظيم وصحفي بارع وناشط فعال في العالم العربي المعاصر، درس الصحافة العربية دراسة عميقة وأتقنها وبرع فيها، وتلقى فن المسرحية في أوربا حتي برع في عرض مشاكل المجتمع العربي وبيان فشل السلطة العربية في حل قضايا مواطنيها من انعدام الحرية وتفشي البطالة والفساد وقضايا متعددة أخرى من خلال مسرحياته المتنوعة. أفنى حياته في سبيل تغيير المجتمع، وتحسين أوضاع الحياة الإنسانية في العالم العربي، حتى ظهر كشخصية بارزة في عالم الأدب والثقافة، اتخذ زاده القرطاس ومعينها القلم، واعترفت "اليونسكو"(UNESCO) بملكته الإبداعية في كتابة المسرحية فدعته ليخاطب العالم بمناسبة يوم المسرح العالمي سنة 1996م، وهكذا أثبت جدارته في فن المسرحية العربية.

هذه وغيرها من المزايا الفريدة لسعد الله ونّوس هي التي حفزتني على أن أختار موضوعي للبحث في مرحلة الماجستير ما قبل الدكتوراة لأناقش مسرحياته وأسلط الضوء على القضايا المهمة التي تناولها الكاتب في مسرحياته بقدر من التفصيل. ولأجل ذلك ناقشت في هذا الموضوع مع مشرفي الأستاذ البروفيسور مجيب الرحمان فوافقني على الموضوع نظرا إلي رغبتي في المسرحية، حيث قمت بعرض مسرحية الخشبة ومسرحية الشارع (Stage and Street Play) خلال متابعتي دورة الماجستر باللغة العربية في جامعة "جواهر لال نهرو" بنيو دلهي و"جامعة مدراس" بولاية تامل نادو، بمناسبة "المهرجان العربي لمسرح العربي". وكلما

واجهت أي مشكلة عن مواد البحث وتجميعها أو تحليلها فأرشدني مشرفي الموقر إلى المصادر والمراجع حتى وفقت على إعداد رسالتي الوجيزة على مسرحية سعد الله ونوس.

يهدف هذا البحث إلى دراسة تلك القضايا الاجتماعية المهمة في المجتمع العربي مثل الحرية والمقاومة والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك من خلال مسرحيات سعدالله ونوس. والمهم هنا أن أشير إلى أن بحثي لا يهدف إلى إحصاء جميع القضايا الاجتماعية التي عالجها الكاتب في مسرحياته، بل إنني أذكر هنا بعض أهم القضايا التي تحتل أهمية كبيرة.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على مسرحياته و كتبه و مقالاته التي تتناول الظواهر الاجتماعية في العالم العربي ومن ذالك، كما قرأت كثيرا من الكتب والمقالات التي تعالج فن كتابة المسرحية وتعين على فهم معانيها ومضامينها، إضافة إلى ذلك استفدت من الموارد المتوفرة على الإنترنت. وشاهدت مسرحياته على يوتيوب (youtube) لكي أفهم أسلوب كتابته المسرحية المنفردة واستوعب القضايا المهمة التي عالجها الكاتب في مسرحياته.

وحاولت أن أستخدم لغة سهلة، وخالية من التعقيد والغموض، ومتماشية مع مستوي لغة البحث العلمي. ومن الممكن أن يجد القارئ في هذه الرسالة بعض التكرار، ولكن التكرار في الحقيقة ليس إلا لضرورة البحث و مقتضى الموضوع.

وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة أبواب، وفي كل باب ثلاثة فصول، إضافة إلى مقدمة البحث وخاتمته، وفي النهاية ذكرت قائمة المصادر والمراجع وهي كما يلي:

الباب الأول: قد ناشت في هذا الباب عن نشأة الكاتب سعد الله ونوس والبيئة التي أثرت في حياته ونموه ذهنيا وثقافيا والمجتمع الذي نشأ وترعرع وشب فيه، كما ذكرت فيه تحصيل علمه وترحاله إلى مصر للإتقان في فن الصحافة وإلى فرنسا للتعمق في فن المسرحية، ثم ألقيت

الضوء على حياته وأعماله الأدبية في اللغة العربية وآدابها، وإسهاماته في المسرحية العربية وابتكاره المصطلح الجديد في المسرحية الذي يعرف بـ"مسرح التسييس".

والباب الثاني: يتنال هذاالباب قضايا المرأة، فيقدم ونوس صورة المرأة في المجتمع العربي بشكل دقيق، ويبين مشاكلها في الأسرة والمجتمع والبلاد، ومشاكلها في عهد الطفولة والشباب والزواج حتى مماتها. ويتحدث الكاتب عن وضع الفقر المدقع وبطالة الشباب وارتيادهم إلى المقاهي والتدخين، كما يشير إلى التفاوت الطبقي وغياب العدالة الاجتماعية من المجتمع في مسرحيته.

والباب الثالث: تحدثت في هذا الباب عن القضايا المريرة والسيئة التي يعاني منها شعب فلسطين أجمع، ناقشت فيه كيف يواجه سكانها أنواعا من المشاكل والمحن في بلادهم مثل المشكلة السياسية والاقتصادية والدينية والمهنية وما إلى ذلك، وأخطر المشاكل هي احتلال إسرائيل لفلسطين وعدوانها السافر على الفلسطينيين العزل وقتلهم وتدمير بيوتهم ليلا ونهارا، كما تحدثت عن مقاومة الفلسطينيين لتلك المظالم الفتاكة، وسكوت العالم على عدوان إسرائيل المستمر وغيرها من الظواهر السياسية والاجتماعية من خلال مسرحياته المختلفة.

وبهذه المناسبة أرى من واجبي أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان لمشرفي الكريم الأستاذ مجيب الرحمن الذي ساعدني خلال إعداد هذه الرسالة بتوجيهاته القيمة، وإرشاداته المشكورة للوصول إلى النتائج الإيجابية، وشجعني بين حين وآخر على تذليل العقبات والعراقيل، ووجدته مستعدا كل وقت للتعاون معي.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصدقائي وأحبائي الذين وجدتهم دائما مستعدين للتعاون معي، وأخصهم بالذكر الأخ عبد الواحد الندوي وعطاء الله السنابلي وأمثالهما كثيرون، فأدعو الله أن يجزيهم جزاء حسنا وموفورا.

بذلت في هذا البحث كل الجهد لأفي بحق الموضوع، ولكن الكمال ليس إلا لله، أما الإنسان فهو يخطئ ويصيب، فأسأله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ومنارا للسائل.

إنعام الآزاد

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيو دلهي – 67

الباب الأول

سعد الله ونّوس وإسهاماته في المسرحية العربية

الفصل الأول: سعد الله ونوس حياته ونشأته

الفصل الثاني: سعد الله ونوس وأعماله الأدبية

الفصل الثالث: إسهاماته في المسرحية العربية

التمهيد:

سعدالله ونوس هو أحد أشهر الكتاب في سوريا، وأحد المسرحيين الكبار الذين نالوا صيتا عظيما وقبولا واسعا في العالم العربي. ترعرع في بيئة علمية وأسرة متدينة، درس فن الصحافة في جامعة القاهرة، وتضلع في فن المسرحية وآداب اللغة العربية في جامعة السوربون بفرنسا. بدأ حياته المهنية بكتابة المقالة، ثم نذر نفسه لخدمة المسرحية العربية وترك فيها أثارا قيمة.

خلف سعد الله ونوس لنا أعمالا أدبية رائعة متنوعة في المسرحية، خلق مسرحاً جديداً مختلفاً عن مسرح الخطابة. فقد آمن بالكلمة – الفعل – وخلق مسرحاً وجودياً فلسفياً. وفي حوار لونّوس عام 1979م شرح تطور أسلوبه المسرحي قائلاً:"منذ منتصف الستينات بدأت بيني وبين اللغة علاقة إشكالية ما كان بوسعي أن أتبينها بوضوح في تلك الفترة، كنت أستشعرها حدثاً أو عبر ومضات خاطفة. لكن حين تقوض بناؤنا الرملي صباح الخامس من حزيران، أخذت تلك العلاقة الإشكالية تتجلى تحت ضوء شرس وكثيف. ويمكن الآن أن أحدد هذه العلاقة بأنها الطموح العسير لأن أكثّف في الكلمة، أي في الكتابة شهادة على انهيارات الواقع وفعلاً نضالياً مباشراً يعبر عن هذا الواقع. وبتعبير أدق كنت أطمح إلى إنجاز (الكلمة – الفعل) التي يتلازم ويندغم في سياقها حلم الثورة وفعل الثورة معاً. لم يكن دور المشاهد وحده

يستوعب حدود الفعالية التي أتوخاها، لكن المناضل الذي أريد أن أكونه ليس في النهاية سوى كائن فعله الكلمات"[1].

وفي نهاية هذا الباب قد تحدثت عن إسهاماته في المسرحية.

[1] .صلاح صالح، سعد الله ونوس في عقده الأخير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1997 ص 30 .

الفصل الأول

سعد الله ونوس حياته ونشأته

الدنيا خشبة المسرح للإنسان. الكثير من الرجال والنساء ظهروا على الأرض وعاشوا حياتهم وعرضوا نشاطاتهم وأعمالهم حسب اهتماماتهم ومصالحهم ثم رحلوا عن الدنيا. ولكن البعض منهم لازالو أحياء بيننا بفضل أعمالهم القيمة وإسهاماتهم الممتازة في مجالات شتى من الأدب والثقافة والدراسات الإسلامية والعلوم الحديثة وتكنالوجيا المعلومات وما إلى ذلك. كما أنهم وهبوا حياتهم لخدمة المجتمع وماتوا لرفاهية الإنسان. ومنهم على رأس القائمة المسرحي السوري سعد الله ونوس الذي فهم مسرحية الحياة الحقيقية وكرس حياته الكاملة للمجتمع العربي بالأعمال المسرحية والمقالات العلمية والاجتماعية والسياسية. هذا هو المسرحي الذي كان لديه قلب يحمل مشاعر القوم، وكان لديه عقل يوظفه لإصلاح المجتمع العربي، وكان عنده قلم يوظفه لتقديم الحلول للمشاكل التي يعاني منها العرب. هذا هو المسرحي الذي صور المجتمع العربي وعرض مشاكله في مسرحياته العربية أمام الإنسان العربي وشجعهم على العمل الجاد والأمانة والشجاعة حتى صارت أعماله مصدر إلهام للمجتمع.

ولد سعد الله ونوس المسرحي السوري عام 1941م في قرية حسين البحر بمحافظة طرطوس السورية[2]. عاش في طفولته عيشة فقيرة ولكنه كان شديد الحساسية. شمّر عن ساق

---

[2]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 781

الجد للقراءة والمطالعة المستمرة بغض النظر عن الأزمة المالية التي كانت أسرته تعاني منها لأنه فهم أهمية التعليم والتربية ومشكلة المجتمع منذ شبابه. وبعد الحصول على مبادئ اللغة وقواعدها في مدارس اللاذقية وجد منحة دراسية للحصول على الإجازة في الصحافة في كلية الآداب في جامعة القاهرة بمصر.

كتب خلال إقامته بمصر مسرحيته الأولى باسم "الحياة أبدا" عام 1961م ردا على مشاعره وهمومه من داخل قلبه عن قضية الانفصال بين دولة مصر وسوريا. وهذه المسرحية توضح وحدة قلبه وحبه للعرب. وأثر هذا الانفصال بين البلدين على عقله وقلبه أثرا كبيرا حيث كتب المسرحية وصور فيها تلك الأحوال والظروف وكذلك ظهرت همومه من خلال مقالاته العديدة في جريدة "النصر" الدمشقية. ونشرت مسرحية "الحياة أبدا" سنة 1962م في مجلة "الآداب" وكما كتب خلال إقامته في جامعة القاهرة رواية "السأم" في النقد لألبرتو مورافيا ونشرها في مجلة "الآداب" وأما مسرحيته "ميدوزا تحدق في الحياة" ونشرها في نفس المجلة. وهكذا اشتهر سعد الله ونوس بكتابة المسرحية في أيام معدودة في مقتبل شبابه حتى اعترفت الحكومة شخصيته العظيمة الأدبية فولته الوظيفة في وزارة الثقافة كمدير للهيئة العامة للمسرح والموسيقى. وكتب مسرحيات قصيرة في بداية حياته ونشرت في شكل الكتاب المسمى ب"حكاية جوقة التماثيل" و يشتمل هذا الكتاب على المسرحيات القصيرة التالية: ميدوزة تحدق في الحياة، وفصد الدم، والرسول المجهول في مأتم انتيجونا، والجرّاد، وجثة على الرصيف، ومأساة بائع الدبس الفقير.

ومن خلال هذه المسرحيات يظهر الطابع الرمزي ضمن رؤية وجودية كما تتجلي فيها موضوعات أساسية جوهرية على سبيل المثال الثقافة وهي أهم شيئ في حياة الإنسان وأنها

كيف تلعب دورا فعالا في المجتمع الإنساني، وكيف تعبر عن القضايا الاجتماعية المختلفة والهموم في المجتمع العربي.

سنتين في فرنسا:

وجد المسرحي البارع سعد الله ونوس منحة دراسية مرة أخرى من قبل وزارة الثقافة لدراسة فنون المسرحية في جامعة السوربون (86-1966) في باريس سنة 1966م[3] فشارك في المسرحية الغربية في باريس ودرسها دراسة نقدية واستمد من المسرح الغربي خلال إقامته هناك حتى تضلع في فن المسرحية وآدابها . وكتب هناك مسرحية شهيرة فور انتهاء الحرب بين العرب وإسرائيل ردا على هزيمة العرب وفشلهم باسم "حفلة سمر من أجل 5 حزيران" و تسمى هذه الحرب بـ "نكسة حزيران" أو "حرب الأيام الستة". وأصبحت هذه الحرب ونتيجتها محفزة للكاتب سعد الله ونوس، لأن الحرب كانت نتيجة كسل العرب وفشل زعمائهم ونتيجة عن ذلك ظهر قهر إسرائيل وزهقت عزة العرب وفازت إسرائيل وفقد العرب ممتلكاتهم الخاصة وأراضيهم ومناطقهم من أهمها سينا وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان وغيرها.

خلال مكثه في جامعة السوربون بباريس شارك في سياسة الطلاب الجامعية وانتفاضتهم، وساهم كطالب مسؤول وسياسي مع الزملاء في نفس الجامعة وخارجها في نهاية عام 1967م. عاد ونوس إلى سوريا لبعض الشهور ونظم مهرجان دمشق المسرحي الأول الذي بدأ بمسرحيته الشهيرة "الفيل يا ملك الزمان" وكذلك مسرحيته الأخرى "مأساة بائع الدبس الفقير" وهكذا تم تقديم مسرحيتين في عرض واحد من خلال هذاالمهرجان.

---

[3]. سعدالله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 782

درس سعد الله ونوس فنون المسرحية في جامعة السوربون بباريس حوالي سنتين وتضلع في فنون المسرحية وغموضها وأسرارها مع تمثيل المسرحيات. وفي عام 1968م عاد من باريس إلى وطنه المحبوب سوريا مع طموحاته العالية ومشاعره المتدفقة لإصلاح المجتمع ورفاهية قومه وتحويل أحلامهم إلى الحقيقة. أسس فرقة المسرح التجريبي مع صديقه فواز الساجر (وأيضا كان معهالمسرحي السوري الذي مات في قمة الأربعين من عمره) لعرض المسرحية وعرض مشاكل المجتمع أمام الناس وفهم المشاكل لتغيير أحوال المجتمع. وفي عام 1969م عمل لهذه الأغراض الثمينة مع جماعة من الراغبين في المسرحية على إقامة مهرجان دمشق المسرحي، ولعب هذا المهرجان دورا بارزا في إصلاح المجتمع العربي وتغييره إلى سنة 1978م. [4] ويقال أن سبب توقف هذا المهرجان كان اندلاع الحرب الأهلية في لبنان والقطيعة المحلية / العربية مع دولة مصر أي بسبب الأحوال السياسية الصعبة. عمل سعد الله ونوس كرئيس تحرير لمجلة "أسامة" للأطفال مع ذلك أسندت إليه إدارة المسارح والموسيقى لبضعة شهور. وبقي على منصب رئاسة تحرير المجلة "أسامة" حتى عام 1975م[5]، وفي عام 1973م سافر إلى فرنسا مرة أخرى لمتابعة دورة اطلاعية وسافر منها إلى ألمانيا وقام خلالها بتجارب مسرحية، ونشر مجموعة من المقالات عن الاتجاهات الثقافية والأدبية في فرنسا في مجلة "البلاغ" اللبنانية، وفي عام 1975م عمل في جريدة "السفير" اللبنانية " كمسؤول عن القسم الثقافي ورفع مستوى الجريدة إلى القمة الأدبية. وفي عام 1976م قام بترجمة كتاب "حول التقاليد المسرحية" لجان فيلار وقام بترجمة وإعداد "يوميات مجنون" لجوجول. وفي عام 1977م كتب مسرحية "الملك هو الملك" وأسس مجلة "الحياة المسرحية"[6]. وفي عام 1978م كتب

---

4. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 782

5. نفس المصدر ص 783

6. نفس المصدر ص 785

مسرحية "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة" وفي عام 1979م ترجم مسرحية "العائلة توت" وكتب عددا من المقالات حول المسرح. وفي عام 1982م بدأ يشتغل كمسؤول عن القسم الثقافي في جريدة "السفير" اللبنانية. وفي عام 1985م جعل يلقي سلسلة من المحاضرات في المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق تحت عنوان "في البحث عن مسرح عربي". وفي عام 1988م نشر كتابه المهم "بيانات لمسرح عربي جديد" من دار الفكر الجديد في بيروت. وفي عام 1989م كتب مسرحيته "الاغتصاب" وفي نفس العام كُرم في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي بمصر وفي مهرجان قرطاج بتونس. وفي عام 1990م فاز بجائزة سلطان العويس الثقافية لمساهمته العملاقة في ميدان المسرحية العربية وأصدر بالتعاون مع عبد الرحمن منيف وفيصل درّاج كتابا دوريا بعنون "قضايا وشهادات". وكذلك كتب بعض المسرحيات مثل "يوم من زماننا" ومسرحية "منمنمات تاريخية" و"طقوس الإشارات والتحولات" و"أحلام شقية". وأصيب ونوس بمرض السرطان في كبده ولكنه لم يشعر عن مرضه المميت قط بل ظل يكتب بالقوة الخارجية الدافعة و القوية وظل يستخدم ذهنه وقلبه وقلمه في الكتابة، بالإضافة إلى ذلك كتب ونوس كثيرا من المقالات والمسرحيات والحوار في حالة الإصابة بالسرطان من أهمها: "بلاد أضيق من الحب" وبمناسبة يوم المسرح العالمي في 27 مارس 1996م، أقيم احتفال كبير لتكريمه وكلفه المعهد المسرحي العالمي التابع ليونسكو أن يجهز رسالة للاحتفال ويلقي كلمة ثمينة بالرغم من أنه كان يعاني من مرض السرطان ولكن وجد في قلبه حب العمل والحوار، الحوار بين الأفراد أو الجماعات لتحويل المجتمع إلى الأحسن والأفضل، وهذه الرسالة ترجمت إلى عديد من اللغات الأجنبية في العالم وتم عرضها في المسارح العالمية.

وانتقل المسرحي الكبير سعد الله ونوس بعد المكافحة المستمرة مع مرض السرطان إلى الله تعالى في 15 مايو سنة 1997م. وخلف لنا أعماله وقدم لنا المثال المنفرد بين الأدباء والكتاب والمسرحيين وأثبت أن القلم هو سلاح حقيقي للأدباء فيمكنهم توظيفه لتأمين حقوق

المظلومين، أو لتدمير المجتمع فهذا سلاح ذو حدين، لا يهتم هذا القلم بمشكلة الأيام وغلبة السياسة وتهديد الحكومة والأمراض المميتة، وقوته وراء الحكومة والسياسة والأمراض.

آراء عن سعد الله ونوس

تقول د. يمنى العيد عن الكاتب السوري سعد الله ونوس: "ونص سعد الله تنويع إبداعي على معارف متجذرة في ما هو اجتماعي تاريخي يخص الإنسان العربي في علاقته بحريته وجسده كما هو علاقته بسياسة حكامه المستبدين، بالغزاة المتعدين، بالسائد من المعتقدات، بالمفاهيم والمعارف المنحرفة عن أهدافها النبيلة وبالتالي بعيش يومي بائس وتاريخ تتكرر هزيمته"([7]).

ويقول محمود إدريس: "للمرة الأولى يتم اختيار مؤلف مسرحي عربي كي يكتب رسالة "معهد المسرحي العالمي" (IIT) التي توجه كل عام إلى أهل المسرح وجمهوره في العالم أجمع. إنها بادرة اعتراف عالمية بموهبة كاتب ترك بصماته الراسخة على مسيرة المسرح العربي ولعب دورا أكيدا في تطوره ولا مفر من أن نرى في ذلك الحدث أيضا شكلا من أشكال الاعتراف بالتطور الذي أحرزه هذا المسرح وهو يندرج اليوم في سياق دينامية عالمية بفضل جهود مبدعين في المغرب والمشرق على السواء([8]).

يقول الفريد فرج: "يعتبر سعد الله ونوس واحدا من أبرز المسرحيين الذين نجحوا في وصل المسرح بالأدب وممن اهتموا بارتباط المسرح بالتاريخ والتراث العربي ومع أن مسرحياته قليلة العدد فهى عالية القيمة وتتميز بتقنياتها المبدعة ونظرتها السياسية العميقة[9].

---

[7]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث ، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 746

[8]. نفس المصدر ص 763

[9]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 771

وتقول أنيسة عبود: "أيها المبدع الكبير . . . ليس وحده المسرح يتقهقهر. . . وليست وحدها المدن تضيق بالمسارح كما تقول. . . إنها تضيق بالقصيدة والقصة. وكل الأشياء الجميلة تتقهقر الآن لتطفو التفاهة. . . كما ذكرت. والشاشات الملونة الفارغة إلا من الأجساد العارية والصور التي لا تهدف إلا لإثارة الغرائز وتقزيم العقل والفكر. ومع أن العالم. . . كما تقول. . . صار قرية واحدة. . . فإن قرانا ما تزال مفصولة عن العالم. . . . مثلنا نحن تماما. الهوة واسعة. . . والكآبة أوسع. . . . والحلم مخيف. . . . من يجرؤ على الحلم([10]) ؟!

[10]. نفس المصدر ص 778

الفصل الثاني

سعد الله ونوس وأعماله الأدبية:

يعد سعد الله ونوس من الأدباء الكبار السوريين في اللغة العربية، أحب اللغة العربية حبا جما، كتب عدة مسرحيات وصور فيها مشاكل المجتمع العربي في شكل المسرحية، وفاز في هدفه المرموق على الأغلب في حياته ويدل على هذا الجوائز والتكريمات التي انهالت عليه من جهات شتي محلية و دولية. وتعد أعماله الأدبية في المسرحية العربية من الأعمال الرائعة، وأما رسالته ليوم المسرح العالمي سنة 1996م من جانب معهد المسرح العالمي التابع ليونسكو فهي رسالة فريدة وهكذا كرمته اليونيسكو تكريما وهو أول كاتب عربي بل مسرحي عربي، الذي كتب بالعربية بمناسبة الحفلة الدولية. وترجمت هذه الرسالة إلى عدد من اللغات المختلفة في أنحاء العالم لأهميتها الجليلة، وهكذا سُجل اسم المسرحي السوري سعد الله ونوس ذلك الوقت في تاريخ المسرح العالمي بكلمات ذهبية. وخلف لنا هذا المسرحي العملاق عددا هائلا من المسرحيات والمقالات وهي كما يلي:

1. الحياة أبدا، 1961م.
2. ميدوزة تحدق في الحياة، 1964م.
3. فصد الدم، 1964م.
4. عندما يلعب الرجال، 1964م.
5. جثة على الرصيف، 1964م.

6. مأساة بائع الدبس الفقير، 1964م.

7. حكاية جوقة التماثيل، 1965م.

8. لعبة الدبابيس، 1965م.

9. الجراد، 1965م.

10. المقهى الزجاجي، 1965م.

11. الرسول المجهول في مأتم انتيجونا، 1965م.

12. حفلة سمر من أجل 5 حزيران، 1968م.

13. الفيل يا ملك الزمان، 1969م.

14. مغامرة رأس المملوك جابر 1971م.

15. سهرة مع أبي الخليل القباني، 1973م.

16. الملك هو الملك، 1977م.

17. رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة، 1978م.

18. الاغتصاب، 1990م.

19. منمنمات تاريخية، 1994م.

20. طقوس الإشارات والتحولات، 1994م.

21. أحلام شقية، 1995م.

22. يوم من زماننا، 1995م.

23. ملحمة السراب، 1996م.

24. بلاد أضيق من الحب، 1996م.

25. رحلة في مجاهل موت عابد، 1996م.

26. الأيام المخمورة، 1997م.

27. الورم (مجموعة القصص)

هي من أهم المسرحيات للكاتب السوري سعد الله ونوس، وقد نالت لدى الشعب قبولا واسعا، والدليل على ذلك أن كثيرا منها ترجمت إلى لغات أجنبية عديدة وكذلك حولت إلى الأفلام والمسلسلات العربية ونذكر هنا بعضا منها:

- "حفلة سمر من أجل 5 حزيران": عُرضت هذه المسرحية في جمهورية السودان عام 1970م، وفي سوريا عام 1971م، وفي العراق عام 1972م، وفي الجزائر وغيرها من البلاد العربية. وترجمت إلى اللغة الفرنسية في إطار عملين أكاديميين أحدهما في السوربون والآخر في جامعة ليون، كما ترجمت إلى اللغة الأسبانية ونشرت هذه الترجمة مع بيانات لمسرح عربي جديد[11].
- مسرحية "الفيل يا ملك الزمان"، عرضت المسرحية في أكثر الدول العربية على الأغلب وترجمت إلى البولونية ونشرت في مجلة "ديالوغ" كما ترجمت إلى الروسية والإنكليزية وغيرها من اللغات المنطوقة في العالم[12].
- مسرحية "مغامرة رأس المملوك جابر": عرضت هذه المسرحية في العراق عام 1972م، وفي سوريا عام 1984م، وفي مصر ودولة الكويت والإمارات وفرنسا والجزائر وألمانيا الديموقراطية ولبنان وغيرها من البلاد العربية وكما حولت إلى عمل سينمائي من إخراج محمد شاهين وإنتاج مؤسسة العالم للسينما في سوريا عام 1974م. وترجمت إلى الروسية ونالت قبولا حسنا من الناس[13].

---

[11]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 788

[12]. نفس المصدر، ص 788

[13]. نفس المصدر، ص788

- مسرحية "سهرة مع أبي خليل القباني": عرضت هذه المسرحية في سوريا عام 1974م وفي دولة الكويت عام 1982م من قبل فرقة المسرح القومي كما عرضت في برلين وترجمت إلى الروسية[14].
- مسرحية "الملك هو الملك": عرضت هذه المسرحية في سوريا عام 1977م وفي تونس عام 1982م وفي العراق ومصر والإمارات والبحرين وترجمت إلى الروسية وصدرت مع بقية مسرحياته المترجمة إلى الروسية في مجلة "دار رادوفا". كما نشرت بالروسية وترجمت إلى الإنجليزية مع "الفيل يا ملك الزمان"[15].
- مسرحية "رحلة حنظلة": عرضت هذه المسرحية في سوريا والكويت ولبنان ومصر والمغرب وغيرها من البلاد العربية[16].
- مسرحية "الاغتصاب": عرضت هذه المسرحية في دمشق، وعمان، والقاهرة، وبيروت وترجمت إلى اللغة الألمانية وصدرت مع دراسة طويلة عن دار نشر كلاؤس برلين عام 1993م وقامت بترجمتها "Friderike Pennewick" وترجمت إلى إيطاليا بيد المتشرقة مونيكا رفوكو[17].
- مسرحية "منمنمات تاريخية": قدمها المسرح القومي في القاهرة بإخراج عصام السيد وترجمت إلى الفرنسية وصدرت عن دار نشر أكت سود (Acte Sud)[18].
- مسرحية "طقوش الإشارات والتحولات": ترجمت إلى الفرنسية وصدرت عن دار نشر أكت سود(Acte Sud)[19].

---

14. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 788
15. نفس المصدر، ص 788
16. نفس المصدر، ص 788
17. نفس المصدر، ص 788
18. نفس المصدر، ص 788

مراحل كتابة المسرح عند سعد الله ونوس

بدأ سعد الله ونوس حياته الكتابية كصحفي ومرت حياته القصيرة بكثير من التحولات بسبب ظروف المجتمع وأحوال السياسة، حيث نراه قد ألف مسرحية "جثة على الرصيف" كمفكر في المجتمع، وكتب مسرحية "حفلة سمر من أجل 5 حزيران"، عام 1968م كمحلل سياسي وقدم مسرحية" الملك هو الملك، عام 1977م كسياسي، وعرض مسرحيته"الاغتصاب"، عام 1990م كناشط اجتماعي، وهكذا كان يفكر في شؤون المجتمع العربي، ولذلك يمكننا أن نقسم حياته إلى أربع مراحل، وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: ركز سعد الله ونوس في بداية حياته الأدبية فكرته على القراء، أنه لم يكتب لغرض عرض المسرحية على الخشبة كما يقول بنفسه: "كنت أكتب مسرحيات للقراءة وليس في ذهني أي تصور لخشبة المسرح"[20]. وكان غرض كتابة مسرحياته في تلك الأيام أن يُرفع الصوت ضد القمع والخوف والاستبداد والظلم على الفقراء والبسطاء. لأن البسطاء كانوا يعيشون تحت ظل الظلم من الحكومة، فالكاتب حث العرب من خلال مسرحياته على النهوض ضد الحكومة لكي يستطيع الإنسان العربي أن يفهم ذاته ويعرف حقوقه. حيث نرى في مسرحية "بائع الدبس الفقير" أن بائع الدبس الذي هو في الحقيقة رجل ساذج وصادق، يصبح ضحية القمع والاستبداد.

وفي مسرحية "لعبة الدبابيس" نرى أن الكاتب يريد أن يقول لنا أن الديموقراطية ضرورية في كل دولة، والديموقراطية نوع من الحكومة يشترك فيها المواطنون في الحكومة، و يسعد فيها جميع الطبقات، وفي هذا النوع من الحكومة يأكل كل من فيها الخبز قبل المنام كل ليلة، يفتخر

---

[19]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 789

[20]. نديممعلا، الأدبالمسرحيفيسوريا، مؤسسةالوحدة بدمشق 1982ص 118

المواطن فيها بالحكومة لكونه ابنها، ويحكم فيها الحاكم مع عقل سليم وقلب حساس برفاهية الناس، وإلا يمتلك هناك المزّاح (Joker) فيتولى الحكومة ويحكم على الفقهاء والمدبرين كما هو الوضع الراهن في بلاد الهند، وهذا ما عرضه الكاتب سعد الله ونوس في مسرحيته "جثة على الرصيف" نجد فيها الشرطة كأداة قمع الفقراء لصالح الأغنياء، والفقراء لا قيمة لهم في الحياة و ليست هناك أية أهمية لجثثهم في حياتهم وبعد مماتهم، كما نرى في هذه المسرحية أن الغني هو يريد شراء جثة الفقير ليُطعمها كلبه.

المرحلة الثانية: يجرب ونوس في هذه المرحلة المسرح الجديد، يدرس ويتعلم مسرحية أوروبا في فرنسا ويجرب تقنياتها في مسرحياته العربية العديدة وأنه لم يحاول أن يكتب مثل الأوروبيين لأن أستاذه في المسرحية المخرج الفرنسي جان ماري سيرو نصحه قائلا "من الخطأ الفادح أن تبنوا مسارح على الطريقة الأوروبية، بوسعكم أنتم بالذات أن تساعدوا التجربة المسرحية على الخروج من الأشكال المتجمدة التي وصلت إليها في أوروبا"[21].

عملا بنصيحة أستاذه بدأ يكتب ونوس على التراث الشعبي العربي ويستخدم تقنيات أوروبا ويقدم في اللغة العربية الفصحي مسرحياته العديدة ، فنري أن مسرحياته تسلك طريقا جديدا لم تألفه المسرحية العربية من قبل، وبهذه الطريقة عرّف فكرته المنفردة "فكرة التسييس" لإيجاد حلول مشاكل العرب لأنه يرى أن المسرحية هي أفضل أداة لتغيير أوضاع المجتمع العربي، وفي هذه المرحلة كتب مسرحية "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران"، و"الفيل يا ملك الزمان" و"مغامرة رأس المملوك جابر" و"الملك هو الملك" وفيها السيرة والنماذج والتراث العربي متماثل في شكل المسرحية الجديدة. ويركز في هذه المرحلة على الجماعية كما يركز على الفردية والوجودية في نفس المرحلة.

---

[21]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق سوريا 1996 ص 193

المرحلة الثالثة: هي مرحلة التوقف عن الكتابة. لإنه محب الوطن الحقيقي ومفكر ذو هموم قومية، هزيمة العرب على يد إسرائيل أحدثت في نفسه وخزة، وكسرت الهزيمة قلبه وأصباته بالإكتئاب وبحالة من الصدمة العنيفة مما اضطره إلى التوقف عن الكتابة لمدة حوالي عشرة أعوام من 1779م إلى 1789م. ولا يظن أحد هناك أنه توقف لأجل مرضه السرطان لأن المرض لحقه عام 1992م بل أنه أغرق في الفكر و توقف عن الكتابة بسبب هزيمة العرب على يد إسرائيل كما يقول سعد الله ونوس: "خلال سنوات انقطاعي عن الكتابة والتى كابدت فيها سراديب الاكتئاب، كنت أعلم أني لا استطيع أن أواصل الكتابة[22].

المرحلة الرابعة:هي مرحلة الإبداع والتألق. وفي هذه المرحلة الرابعة والأخيرة بدأ يتألق في كتابته ولوكان يعاني من مرض السرطان. وعلى سرير مرضه اتخذ كتابته سلاحا لمكافحة مرضه حيث نراه يكتب في هذه الأيام المسرحيات الشهيرة منها "منمنمات تاريخية" و"هوامش ثقافية" و"يوم من زماننا" و"طقوش الإشارات والتحولات" و"ملحمة السراب" و"الأيام المخمورة " وغيرها. ففي مسرحية "منمنمات تاريخية" أكد على العلاقة بين المسرحية وعلى أهمية التراث العربي في حياة الإنسان العربي. وفي مسرحية "يوم من زماننا" يوضح حقيقة المجتمع في العالم العربي كما أنه كشف عن فساد المدرسة والبيت والكلية والجامعة والسلطة وغيرها، ونجد الكاتب في هذه المسرحية قاسيا وجريئا أكثر من قبل. وفي مسرحية "طقوس الإشارات والتحولات" يشير الكاتب إلى جريمة المفتي وإيمانه المتغير وفساد السلطة والشرطة.

أسلوب مسرحية الكاتب:سعد الله ونوس كاتب حساس ومفكر عميق ومؤرخ ذكي وناشط اجتماعي وطني حقيقي الذى جعل يتعامل بالمسرحية العربية مع القلب الحساس والعقل الحاد وتجربته الغربية وتقنيته الغربية نتيجة عن ذلك وصلت مسرحيته العربية إلى القمة في عالم

---

[22]. مجلة الطريق اللبنانية، العدد الثالث، السنة السادسة والخمسون، 1997، من حوار أجرته معه ماري الياس 1996، ص 104.

المسرحية العربية ذلك الوقت. و وقد أحاط بمعظم القضايا التي يواجها العرب مثل القيادة والسياسة والثقافة والتعليم والتربية، وفي فترة قليلة جدا برز كمسرحي اجتماعي متميز، كما درّس الطلاب في معهده للمسرح العربي في دمشق وفي أيام معدودة نالت مسرحياته شهرة عظيمة في العالم العربي بالخصوص وخارجها بالعموم، وأهم ميزات مسرحياته أنه حاول أن يشغل المتفرجين والممثلين جميعهم. وكذلك قلل المسافة بين المتفرجين والممثلين في قاعة المسرحية، وهكذا أدخل المتعة التفاعلية في المسرحية و جعلها جذابة. وأدخل إفاديتها في قلوب المتفرجين والمشاهدين بطريقة ممتعة وسهلة. فكانت مسرحياته قوية وعاطفية حيث نري فيها فكرة متينة ومشاعر مناسبة وخلفية واضحة وحاجة اجتماعية ولما يقرأ القارئ مسرحيته يحس ذاته في داخل المسرحية.

والجدير بالذكر هنا أنه قدم فكرة جديدة في الأدب العربي والمسرحية العربية تعرف بـ "فكرة التسييس" فصارت له الريادة في الموضوع، وهو عبارة عن عرض مشلات الحكومة وسياسيتها بطريقة أدبية وجذابة لتكون أعماله السياسية ممتعة للقارئين والمتفرجين وتكون مفيدة للغاية. وهكذا نجح في عرض فكرته القوية ضد الحكومة الظالمة والثقافة السيئة والسيطرة الغربية بأسلوبه الخاص وطريقته المنفردة حتى مدحه العرب والعجم لتلك الفكرة المنفردة والجديدة.

وأهم هدف مسرحياته أن يعرض قضية المجتمع ليجعل العرب متنبهين بالسياسية وهيمنة الثقافة الغربية وفقدان الحرية عامة من حياة الناس وخاصة من حياة النساء في بيوتهن كما أنه يرى "لا معنى للمسرح إذا لم يُطرح قضايا الإنسان الجوهرية"[23]. كذلك لا يرى المسرحية محلية المجتمع أو الثقافة أو أدب المسرح والفرح فقط بل أنه يعتقد أن المسرحية هي جزء من أجزاء

[23]. http://pulpit. alwatanvoice. com/content/print/70522. html(21/07/2016)

المجتمع الحي وعلامة من علامات الإنسانية الناشطة والمسرحية لا تقدر أن تنفس وتطور في الجوء المتطرف بل إنها تتقوى وتثمر في تربة الديموقراطية كما يقول سعد الله ونوس: "ليس تجليا من تجليات المجتمع المدني فحسب بل هو شرط من شر وط قيام هذا المجتمع وضرورة من ضرورات نموه وازدهاره"[24]

[24]. عبدالرحمن ياغي، سعد الله ونوسوالمسرح، كلمة يومالمسرحالعالمي، دار الأهالي 1998، ص 113

الفصل الثالث:

إسهاماته في المسرحية العربية

اخترع سعد الله ونوس مسرحا جديدا. هو مرآة التي تصور المجتمع العربي من جهات مختلفة وصور فيها شتي مشكلات المجتمع العربي بكل جرأة و شجاعة. فما خاف من سلطان الزمان ولا رغب في مناصب السلطة ولا مال إلى السمعة. ويبرهن علي ذالك مسرحيته"الفيل يا ملك الزمان" ومسرحيته "الملك هو الملك" وغيرهما، ولم يترك ونوس علماء الأديان والمذاهب بل انتقدهم انتقادا حاداكما في مسرحياته المختلفة مثل"الاغتصاب" و"طقوس الإشارات والتحولات" وغيرهما من مسرحياته، وقدعرض القضايا المهمة عرضا دقيقا وواقعيا. كما حاول أن يدعو الماء ماء ويدعو اللبن لبنا وأن يقول الأسود أسود والأبيض أبيض.

قد تحدث ونوس في أكثر مسرحياته عن حقوق الإنسان الأساسية التي تُعتبر مفتاح العقل والقلب والقلم والقرطاس في المعنى الحقيقي، وتحدث عن الحق الذي يميز بين الإنسان والحيوانات ويفرق بين الصالح والطالح ويعطي الناس الفرصة والجرأة لقول كلمة الحق أمام سلطان جائر، وهذا يقال حق الحرية، ولازال يرفع هذه القضية حتى في أيام مرضه المهلك السرطان في المستشفى في أواخر أيامه، وإنه قد فهم أن حرية الإنسان شيئ مهم لا غني عنه في الحياة الإنسانية. فتناول ونوس هذه القضايا المهمة وبذالك صار وجهاجديدا في بلاده سوريا، وتم تكريمه في مهرجان قرطاج لمساهمته الجبارة في المسرحية العربية الممتعة والمنفردة

سنة 1989م. وكذلك تم تكريمه في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في دورته الأولى وكذلك فاز بجائزة مرموقة لمسرحياته الممتازة الثقافية"سلطان العويس"[25].

بدأ سعد الله ونوس يكتب المسرحية من عام 1961م عند ماكان يدرس الصحافة العربية في جامعة القاهرة بمصر ولكن الحرب التي وقعت عام 1967م بين العرب وإسرائيل قد أثرت على فكرة الكاتب أثرا عميقا أصابته بالإحباط والاكتئاب لأجل فقدان القيادة المناسبة في الأحزاب والسياسة في البلدان العربية جميعا. وهذا الأثر يظهر في مسرحياته العديدة عامة ولكنه تحدث عنها في مسرحيته " حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" بكل بسط وتفصيل واستخدم فيها أسلوب التحريض الذي يُعد جزء من العملية الجدلية في المسرح الغربي وكذلك يؤكد علي العرب ضرورة فهم السياسة الوطنية والعالمية ليحصلوا على حريتهم ويحلوا قضايا حياتهم ونجد نفس الفكرة في مسرحياته: "الملك هو الملك" و"الفيل يا ملك الزمان" و"مغامرة رأس المملوك جابر" وغيرها. كما نجد في هذه المسرحيات المذكورة الثلاثة الشهيرة المتينة "فكرة التسييس".

قيل عن سعد الله ونوس أنه "القارئ الأكثر والكاتب الأقوى" وأننا نرى أنه كان لا يزال يطالع الكتب العربية والغربية من الطفولة إلى الشيخوخة حتى خلال مدة إصابته بمرض السرطان على سرير المستشفى وأنه تضلع في فنون المسرحية.

وإذا استعرضنا مساهمات الكاتب في المسرحية العربية وجدنا أنه كتب جميع أنواع المسرحيات وأودع فيها فكرة قوية مستهدفا من وراءها تحضير جيل جديد قادر على تغيير المجتمع كما نرى ذلك في مسرحية "سهرة مع أبي خليل القباني" التي كتبها أساسا لإبراز أهمية ومكانة مؤسس المسرح السوري أبي خليل القباني، وكذلك قام سعد الله ونوس بعقد المهرجانات في مدينة دمشق بمناسبة المسرحية العربية، ومن خلال هذه البرامج انتشرت أهمية المسرحية

---

[25]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، دار الأهالي بدمشق، سوريا 1996، ص 784

داخل البلاد العربية وخارجها. وقد ذكرنا سابقا أن سعد الله ونوس كان صحفيا بارعا في زمنه، فأسس المجلة العربية "الحياة المسرحية" لتعميم أهمية المسرحية بين الناس، وساهم في تطوير اللغة العربية وآدابها بالعموم والمسرحية العربية السورية بالخصوص، وعمل على إثراء الأدب العربي من خلال المسرحية العربية.

كان الكاتب سعد الله ونوس متحمسا جدا لتطوير المسرحية العربي، فأفرغ الوقت لتدريس المسرحية، كي يغرس في قلوب الطلاب والراغبين في المسرحية نظرية المسرحية عمليا بكل وضوح، ولتحقيق هذا الغرض أسس معهد المسرح العالي ودرّس هناك بكل نشاط وجدية.

كتب سعد الله ونوس أكثر من عشرين مسرحية في حياته الكاملة ولجميع مسرحياته خلفية وفيها فائدة للعرب والعجم. وهنا نحاول أن نناقش أصناف المسرحية التي كتبها:

أ. المسرح الواقعي: يقول سعد الله ونوس عن عمله: "أنا أمضي في كتابة المسرحية، لم أفكر بأصول المسرحية ولا بمقتضيات جنس أدبي محدد، لم تخطر ببالي أية قضية نقدية، كنت فقط أتصور وغالبا بانفعال حسي حقيقي أني أعرّي واقع الهزيمة وأمزق الأقنعة عن صانعيها". [26] هذا النوع من المسرحية الذي دربه ونوس يقدم الصورة الحقيقية للعلاقة بين العرب وإسرائيل، فهذه المسرحية شكل من أشكال المسرح الواقعي.

ب. المسرح الملحمي: إن الكاتب مال إلى كتابة المسرحية الملحمية زاعما أن هذا النوع من المسرحية طريقة جيدة لطرح الفكرة الاشتراكية وزاعما أن التراث العربي الزاخر له أهمية كبرى وتقديمه من خلال المسرحية يكون ممتعا وجذابا للمتفرجين.

---

[26]. http://al-masrah. com/portal/archives/453 (21/07/2016)

ج. المسرح التاريخي: كان للكاتب سعد الله ونوس دراية بالغة بالتاريخ وقد أدرك أهمية التاريخ والتراث التاريخي، ولأجل ذلك رأى أنه يجب أن تكتب المسرحية التاريخية، ولا شك في أنها مفيدة جدا لإحيا التراث العربي من خلال المسرحية، إنه أخبر العرب عن ماضيهم ونبههم إلى المستقبل وحثهم علي الاستفادة من مسرحياته والتفكر في جيلهم القادم، وأفضل مسرحية من هذا النوع مسرحيته "منمنمات التاريخية".

الباب الثانـي:

القضايا الاجتماعية في مسرحيات سعد الله ونوس

الفصل الأول: قضايا المرأة في مسرحيات سعد الله ونوس

الفصل الثانـي: قضايا الفقر والتفاوت الطبقي والعدالة الاجتماعية في مسرحيات سعد الله ونوس

الفصل الثالث: سعد الله ونوس والقضايا الاجتماعية العامة في المجتمع العربي السوري

تمهيد:

قدم سعد الله ونوس صورة سوريا خصوصا وصورة العالم العربي عموما، وعرض بعض القضايا التي تخص حياة الإنسان يوميا وبعض المشاكل التي تتعرض في سبيل الحياة الممتعة. فالكاتب قدّم لنا كل هذه القضايا والمشاكل ومع ذلك أشار إلى حلولها خطوة بعد خطوة.

فمن خلال مسرحياته عرض القضايا الاجتماعية المختلفة وقدم في مسرحياته مختلف الشخصيات بدأ من شخصية الطفلة إلى شخصية العجوزة، ومن شخصية الذكر إلى شخصية الأنثى، ومن شخصية الأمير إلى شخصية الفقير، ومن شخصية الحاكم إلى شخصية المحكوم، ومن مشكلة البيت إلى مشكلة المدرسة، ومن مشكلة الفقر إلى مشكلة التفاوت الطبقي، وقضية الأسرة إلى قضية الحي والقرية، وكذلك القضايا الأخرى الموجودة في المجتمع السوري والعربي، وكان الناس لا يجرؤون أن يرفعوا أصواتهم ضد ظلم الحاكم ولا يستطيعون أن يقدموا مشكلتهم أمام السلطة في المجتمع السوري. فحياة الناس كانت تئن تحت وطأة الفقر المدقع والبطالة قهر السلطة.

الفصل الأول:

قضايا المرأة في مسرحية سعد الله ونوس

"المرأة نصف المجتمع"

حياة الإنسان مثل الدراجة التي لها عجلتان ولا تستطيع الدراجة أن تسير أو تتقدم إلى الأمام إلا بتوازن العجلتين، وواحدة من تانك العجلتين هو الرجل في حين أخراهما المرأة، ولا تقل أهمية أي منهما، بل لهما ميزات مختلفة وأهمية خاصة، فإن عملت كلتا العجلتين مع التوازن والتوافق مع الآخر فحياة الإنسان تصير أفرح والأسرة في المجتمع الإنساني تكون أسعد، وهكذا تحتل الامرأة مكان النصف في حياة الإنسان، ومن هنا أدرك الكاتب المسرحي سعد الله ونوس أهمية المرأة في حياة الإنسان وبناء المجتمع الصالح المتكامل الذي تسود فيه الأخوة والمساواة والإيثار والتضحية والتفاني في سبيل الله، وأعطاها مكانا مرموقا في مسرحيته، إنني لم أجد أية مسرحية خالية عن شخصية المرأة، بل وإن مسرحياته تدور حول المرأة، وتلعب المرأة فيها دورا محوريا.

إن سعد الله ونوس متفكر دائما في المجتمع العربي وبالخصوص عن شؤون المرأة وقضاياها ومشكلاتها في المجتمعات:مشكلة البيت، ومشكلة الأسرة، ومشكلة المجتمع، ومشكلة المدينة، ومشكلة المدرسة، والكلية، والجامعة، وكذلك مشكلات جميع العرب في شؤون المرأة وحقوقها. "الحرية شمس يحب أن تشرق في كل نفس" (مقولة) وكذلك "لا أحد يحب القيود ولو كانت من ذهب" (مقولة) "وما فائدة الدنيا الواسعة إذا كان حذائك ضيقا" (حكمة)، فمن خلال

المسرحيات العديدة ركز على أهمية الحرية في المجتمع. ولأجل سهولة فهم أهمية الحرية في المجتمع العربي، عرض الشخصيات من جميع مستوبات السن، حيث نجد شخصيات الأطفال وشخصيات الشباب وشخصيات العجوز، وما إلى ذلك في مسرحياته. هنا أحاول أن أذكر بعض أهم النقاط التي قدمها الكاتب السوري في بعض مسرحياته. فأشير إلى شخصيات الأطفال إلى شخصيات الشبان والعجوز وما إلى ذلك.

شخصيات الأطفال: يهتم الكاتب سعد الله ونوس بمسألة الحرية في حياة الإنسان اهتماما بالغا، فإنه لا يفرق في حقوق الحرية بين الأطفال والرجل والأسرة بل يوضح أن الحرية روح الحياة على الأرض، ولا حياة بدونها، وهو يظن أن "الكلب الحر خير من أسد مقيد" (حكمة) ففي مسرحيته "الفيل يا ملك الزمان"عرض مجتمعات عربية فيها أناس من جميع العمر، فيها أطفال يلعبون في الميدان وفي أزقة المدينة والرجال والنساء يشغلون في أعمالهم وشؤونهم اليومية، وكان فيها الملك الذي يحكم على هذه المجتمعات، ولكنه لا يهتم بشؤون الناس، لأن هناك فجوة واسعة بين الحاكم والمحكوم، فالمحكومون خائفون ومذعورون من الحاكم، ولأجل ذلك لايطلع الحاكم علي أحوال المحكومين، ولا يعلم حقيقة وضع محكوميه ومشكلاتهم بالضبط.

يشير الكاتب في هذه المسرحية إلى أن الحاكم يهتم بالكرسي فقط ولا يرغب في الشؤون المختلفة التي تحدث في حياة المحكومين، فنرى في هذه المسرحية أن فيل الملك الشرس يجول المدينة وسككها ويتمتع بمأكولاتها ومشروباتها، وحياة الأطفال في هذه المدينة كما نرى أن الفيل يدس الطفل المعصوم الذي كان يلعب مع أصدقائه في الميدان، فيجيئ الفيل بين الأطفال ويدس الطفل تحت أقدامه حتى تخرج المعدة من بطن الطفل "فأدركه الفيل وداس فوقه"[27] يُقتل الطفل أمام الأطفال والناس أجمعين، ولكن لا يجرأ أحد من الناظرين أن يمنع الفيل عن قتل

---

[27]. سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق 1996 ص 3

الطفل المعصوم لأنه كان فيل الملك وصديقه وعمل الفيل كان مقبولا عند الملك وسعادة الفيل كانت هي سعادة الملك الظالم، فيشير سعد الله ونوس هنا إلى ظلم الملك ومعاملته مع الفيل الشرس وصمت الناس وحياتهم الأليمة. فهناك كان واجبا على الناس أن يقفوا أمام الفيل ويحفظوا الطفل من ظلم الفيل وقتله ولكن هيبة الملك غلبت على حياة الطفل فلم يجرأ أحد أن يمنع الفيل لأن الملك يغضب به "ولا أحد يجرأ على الكلام"[28].

وفي نفس المسرحية يقدم ونوس شخصية أخرى للطفلة التي تظهر جرأتها وتكشف عن شراسة الفيل أمام الملك ولكن أمها تجبر على الصمت أمام الملك بسبب قهره وظلمه مدى حياته "قتل ابن. . . . تضع الأم يدها بهلع على فم الصغيرة تجبرها على السكوت"[29]، فنفهم من خلال هذه المسرحية أن شخصية الطفل تشير إلى كثير من التعاملات والشؤون التي نمر بها في حياتنا اليومية في الحياة، نحن لا نستطيع أن نوفر أولادنا وأطفالنا جو الحفظ والأمن والحرية لكي تنمو مؤهلاتهم بأحسن طريقة ويصيروا جريئيين من حيث العقل والفكر والجسم وغيره، إذا لا نستطيع أن نوفر أولادنا هذا الجو الحر والحفظ إذن كيف نتوقع من أطفالنا عن المستقبل الزاهر؟؟.

وفي مسرحية "أحلام شقية" يشير الكاتب إلى تمتع الزوج من الدعارة وهيمنته على زوجته ورغبته في اللهبو واللعب طوال الليل والنهار[30] فلا يهتم الزوج "الفارس" بشؤون زوجته "ماري" ورغبتها وحاجتها ولا يحبها حق الحب بل يعامل معها معاملة الماكنة التي تعمل له طول الليل والنهار وليس لها قلبها ورغباتها ومشاعرها فيها وكأنها تعيش في الحبس "ضاق

---

28. نفس المصدر، ص 4

29. نفس المصدر، ص17

30. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 ص 264

المكان وصار كالسجن نعم هذا هو حالنا إننا محصورتان في حبس"[31] قد أصيب بمرض مضن وخطير بسبب زيارته وكر الدعارة الذي يجعل زوجته محرومة من حملها إلى الأبد فالزوجة راغبة بالأولاد ولهذا تدعو الشاب المستأجر الذي كان يسكن في بيتها كإبنها. وبعد مرور الأيام تعامله مثل الحبيبة لأن زوجها لا يرغب فيها، بل يفضل الدعارة. ونفس الحال في بيت جوارها المرأة لا تجد الحب والود من زوجها فترغب في ولد المستأجر في بيتها ولكن زوجاهما يكذبان على حبهما مع الولد المستأجر فمرة تتحدثان عن حياتهما الصعبة والعلاقة الزوجية والحب بين الزوج والزوجة والرغبة في الشباب المستأجر يقول ونوس: "ماري أتظنين ؟ كيف تولد اللذة مع الدنس والفجور وأفعال البهائم ؟ . . . . . غادة: أه يا حالة. . . . . نحن امرأتان شقيقتان لا تعرفان عن السعادة واللذة إلا التخمينات والأوهام"[32].

وفي مسرحية "الأيام المخمورة" يقدم الكاتب حكاية "سناء" إمرأة عجوزة وأسرتها وحبيبها المستتر، وتشتمل هذه المسرحية على قضية حب المرأة مع زوجها وعاشقها في نهاية عمرها. من خلال هذه المسرحية يريد الكاتب أن يوضح حقيقة الحب والعلاقة وسر الحب بين الزوج والزوج ، وكيفية الحب الذي تحبه الزوجة بالتفصيل، وكذلك يشير الكاتب إلى تلك النتيجة الخطيرة حينما تطمئن الزوجة لا بعلاقة بينها وبين زوجها ولا ترضى عن حبه. في الحقيقة الحب كالأعمي، لا ينظر أحد إليعمره ولا ينظر إلى علاقته ولا يفكر في أسرته ولا يشعر عن عزته ولا عظمته، فإن غلب عليه الحب وعلى عقله فالحب هوعلى كل شيء، وفي ذلك الوقت لا ينظر بعيونه بل ينظر بعيون حبيبه ولا يشعر بقلبه إلا بصوت حبيبه ولا يفكر في شيئ إلا

---

[31]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 297

[32]. نفس المصدر ص 305

لقاء حبيبه ولا أحسن شيئ عنده إلا في حضن حبيبه وهذا هو الحب ومهما كان العمر لا يهتم هذا في الحب و نفس الحالة توجد ههنا.

تسكن "سيناء" في هذه المسرحية في البيت مع زوجها عبد القادر وأبناءها الأربعة، هي لا تواجه أية مشكلة إلا مشكلة الحب مع زوجها كما أنها لا تجد حب زوجها بقدر حقها ولأجل ذلك تحاول أن تجد صديقها خارج البيت لكي تشارك معه همومها وآلامها وهكذا تكتمل حاجتها من الرجل الآخر، ولو كان لديه زوجها، تجد رجلا اسمه "حبيب" وهي تخرج من بيتها لأجل حبيبها وتلتقي معه في الحديقة والغابة بعض الأحيان مساء، حتى يعيشان معا من دون الزواج(living in relationship) ولو كان كلاهما متزوجان حيث سناء لها زوجها وأربعة أولاد، وأما حبيب فله زوجته في بيته كذلك، فالمرأة العجوزة سناء تتحدث بابنتها في وقت مغادرة من بيتها فابنتها تطلب منها ألا تتركها ولا تذهب من بيتها إلى عاشقها ولكنها لا تزال تستمر في الذهاب والانفصال من أسرتها ولأجل ذلك أنها تجيب على ابنتهابأسلوب منفرد ولهجةجافة وتحكي كل حكاية حبها وتفاصيلها مع حبيبها، حبيب لابنتها الباكية وهكذا أنها تقول لابنتها ذلك الوقت: "أرجوك لا تكوني قاسية، وحاولي أن تفهمين، قاومت كثيرا وعاندت نفسي طويلا، ولكن لم أستطع. كان ذلك أقوى مني، كان المرض الخفيف، ينمو داخلي وفي غفلة عني. وأعرف أن هذا كله لن يبررني في عينك، ولكن ماذا أفعل ؟ تلك هي الحقيقة. إني أحب رجلا، وأريد ستجدني في بيت حبيب الشمالي، الكائن في أعلى جونيه، لو لم تكوني الأثيرة إلى قلبي، لما أعطيتك سري، فكوني كتومة يا ليلى، ولا تفضحي أمك. . . . . وخريف العمر أحببت وقررت يا ابنتي. ولم أترك أمامي سبيلا للتراجع. . . . عيشوا حياتكم ولا تفكروني"[33]. فحكاية الجدة سناء تدل على حكاية الحب وذلك الحب لا يهتم بعلاقة نسبية ولا حسبية حتى في أواخر

---

[33]. سعد الله ونوس، الأيام المخمورة، دار الأهاليدمشق 1997 ص 54-55

حياتها كامرأة عجوزة تنتقل من الزوج العجوز إلى الحبيب تاركة أربعة أولاد في بيتها وذلك لأنها لا تطمئن على حب زوجها ولذلك أنها لا تنظر إلى عزة أسرتها ومنزلها ومشاعر زوجها وأولادها وشروط المجتمع وقومها بل إنها تريد إكمال حبها مع الرجل الآخر ولو بطريقة غير شرعية، فالكاتب يحث العرب على هذه العلاقة مع زوجتهم في بيوتهم ويريد أن يؤكد لهم أن يحافظوا على علاقة زوجاتهم العظيمة ويُكملوا حاجتهن جسمانيا وماليا وشعوريا وما إلى ذلك، حسب الضرورة الطبيعية لكي تبقى علاقتهما وعظمة الأسرة ولا تغادر النساء من بيوتهن في وسط عمرهن أو أواخر عمرهن. وهكذا تكون الأسرة مريحة ويصير المجتمع حديقة مثمرة تكون الأشجار فيها قائمة والأزهار والأثمار تكون فيها مبعثرة وتوجد هناك الفائدة لنفسها وللراغبين بها.

وأما مسرحية "طقوس الإشارات والتحولات" التي كتبها الكاتب سعد الله ونوس في سنة 1994م وهو على سرير مرضه السرطان . فقد حاول الكاتب من خلال هذه المسرحية الكشف عن حالة الأسرة العربية ووضع المجتمع وفساد السلطة بطريقة واضحة وممتعة.

يركز الكاتب في هذه المسرحية على قضية المرأة بكل بسط وتفصيل، حيث نجد فيها المرأة هي الشخصية الرئيسية التي تدور بين هواء زوجها نقيب الأشراف عبد الله وبين المفتي في مجتمعها، النقيب والمفتي كلاهما في طوال التوتر للحصول على السمعة والشهرة، فالامرأة "مؤمنة" زوجة نقيب الأشراف تواجه ظلم الحب من جانب زوجها حيث زوجها النقيب يلعب ويتمتع بالغانية والراقصة في الحديقة، ولا يرغب نقيب الأشراف في زوجته حق قدرها لأن الغانية وردة، وهي خليلة عبد الله، مجلس لهو ومجون لنقيب الأشراف، بينهما طبق كبير، عليه أصناف من المأزة والمشروبات"[34]. تغير قلب مؤمنة من زوجها الماجن مع الغانية حتى أنها

---

[34]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 473

تعلن بكون غانيتها أو راقصتها لكي يرغب زوجها بها ولا يدعو إلى الغانية خارج البيت كما أنها تقول: "أنا الآن غانية"[35]، وكذلك ينقلب قلب المفتي ويود أن يبتعد عن رئاسة الفتوى لكي يتمتع بمؤمنة غيرت اسمها مع مهنتها باسم "الماسة" يقول لها المفتي: "أتوصل إليك. . . . لا تسرعي في الجواب. تمهلي، وفكري. . . . . إني. . . . أريدك"[36]. هكذا يكدر جو قصر نقيب الأشراف حتى إلى دفتر المفتي الديني وتعم السيئات والخبائث في الأسرة الشريفة ولكن كان في تلك الأسرة ولد غيور شقيق الماسة الذي يريد أن يقتل أخته لأجل فحشها ولكنها تصرخ قبيل القتل أمام أخيه، كما أنها تقول بالصوت العالي أن الامرأة يفنيها دمها لو أجراه قاتلها بل حالة إنسان كانت وستظل باقية.

فمن خلال هذه المسرحية يريد الكاتب أن يشير إلى طبائع الناس وتغييرها حسب حالتهم وموقعهم . فبعض الأحيان الإنسان يجذبه جمال المظهر ولمعان الشيئ في أقل وقت ويغفل عن ذاته وإيمانه ودينه حتى يرتكب الجرائم التي لا يجوز له أن يقترب منها في أي حال. وكذلك بعض الأحيان تجبره الحالة على ارتكاب الحرام أو المكروه. فالمرأة في هذه المسرحية اضطرت إلى أن تغير وضعها وتواجه مشكلة العلاقة بين زوجها وبين الغانية والراقصة حتى تصير المرأة غانية وراقصة. والمهم هنا الحاكم نقيب الأشراف الذي هو يخدع زوجته فكيف يستطيع أن ينصف بزوجته ورعيته؟؟، لأن الزوجة نصف زوجها والمفتي الذي يصدر الفتوى ويتبوأ المكان الرفيع في المجتمع ولكن يفشل أمام الغانية والراقصة ويرضى أن يتمتع بها لأجل جمالها وشبابها بغض النظر عن مكانه وشرفه في المجتمع. وهذه الحالة كانت توجد في

---

[35]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 509

[36]. نفس المصدر ص 556

المجتمع العربي ذلك الوقت يقول المفتي: "إن أعضائي تذوب، وتسيل. إن قلبي يكاد يفلت من صدري. هذا هو الفناء. إني أفني فيك. وإني أولد جديدا في فنائي"[37].

وملخص القول كما تقول الشخصية الرئيسية الماسة قبيل قتلها: "أنا يا صفوان حكاية، والحكاية لا تقتل. أنا وسواس وشوق وغواية، والخناجر لا تستطيع أن تقتل الوسواس والشوق والغواية"[38].

وفي مسرحية "الاغتصاب" التي نشرها الكاتب سنة 1989م وصور فيها الضفة الغربية (West Bank) وما وقع فيها من الأحداث المختلفة الصعبة والوحشية في زمن الانتفاضة الفلسطينية. تدور المسرحية حول أسرتين، إحداهما من فلسطين وآخراهما من إسرائيل، ونوعية الحكاية في كلتا الأسرتين مماثلة، ففي أسرة إسرائيل نرى أن المرأة سارة تسكن مع ابنها اسحق وزوجته راحيل، والمرأة غارقة في حب رئيس الضباط في الأمن الإسرائيلي "مائير"، واسحق يعمل تحته، الإبن يسأل أمه مرات غير مرة عن العلاقة بينها وبين مائير ولكنها ترفض الإجابة كل مرة، فيدق في قلب ابنه مجموعة من الأسئلة والشبهات بين علاقتهما. وبعد مضي بعض الأيام تستلم زوجته راحيل الاتصالات بالتليفون بجانب صديق زوجها "جدعون" حتى أنه يعتقلها ويغتصبها وحشيا. ويقول لها عن نشاطاته الخبيثة الوحشية وعزائمه الخطيرة ضد المسلمين والفلسطينيين حتى يقول لها عن حركات زوجها اسحق لأنه يشارك معه في حفلة الليل التي كانت فيها جماعة من النساء من الدول العربية المختلفة والجنود كانوا يتمتعون بهن ويضربوهن ويعذبوهن في تلك الحفلة، وكان اسحق أيضا موجودا هناك، فيجاوز اسحق في تلك الليلة كما أنه يقطع أجزاء جسم البنات بصورة وحشية، وكانت البنات يصرخن ألما. ولما عرفت راحيل

---

[37]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 589

[38]. نفس المصدر ص 596

عن شؤون زوجها وضباط الأمن الإسرائيلي وحزنت للغاية، وبعد أيام قتل زوجها في مكتب مائير لأن اسحق جعل يتقرب من سر وحشية إسرائيل وسياستها الخطيرة. والأسف فوق الأسف أن توافق بقتل ابنها.

وكذلك في الأسرة الفلسطينية شخصية "دلال" التي تسكن في البيت مع زوجها "اسماعيل" الذي يعمل ناشطا لتحرير فلسطين، وزوجته لا تستطيع أن تقترب من حياة زوجها ونشاطاته وأعماله لأن كل أعماله عبارة من أسرار، كما أنه يعتقل بإسرائيل ويخصي في السجن فيحرم من الرجولة في أيام شبابه، وزوجته تغتصب بين أيديه، وفي حين أنه يقتل زوجه في السجن شر قتلة. ومن خلال هذه المسرحية يشير الكاتب سعد الله ونوس إلى حقيقة حالة فلسطين والمواطنين فيها الذين يواجهون مشكلات الهوية والأرض والتشرد. فهم اللاجئون في بلادهم، والحقيقة أن لكل إنسان بيت ولكن لا مكان لفلسطينيين "الدجاجة لها بيت. . . بيت الدجاجة اسمه القن. . . . . العصفور له بيت، وبيت العصفور اسمه العش. . أما أنا الفلسطيني فلا بيت لي. . . لأن بيت الفلسطينيين يعيش فيه الآن عدو فلسطين. . . ومن عدو فلسطين. . . [39] البنات يواجهن جميع المشاكل فيها، والأطفال يحرمون من الأبوين ويصيرون مثل الورقة الجافة، الساقطة من الشجرة الخضراء ثم يصيرون كرشاشة في سيل الماء، فليس لهم أب ولا أم فيصيرون بعض الأوقات لعبة لضباط إسرائيل، فهم يهاجمون على بيوت العرب ويعتقلونهم ويقتلونهم ويدخلونهم في السجن ويعاقبونهم أشد العقاب حينما يريدون. كما تقول المرأة الفلسطينية: "إن واقعنا مرعب. موت واعتقالات. . . بيوت منسوفة وأطفال بلا أمهات. أتريدين أن يولد ابنك بلا هوية وبلا أمل ! هذا الطفل النائم ! لغموا حياته قبل أن يولد.

---

[39]. سعد الله ونوس الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 80

إنه ينام الآن فوق نغمه هو ونحن. . . إننا جميعا نعيش وسط الرعب. فكيف نشعر بالأماني؟"[40]

فالأرض ضيقة للمرأة حيث نرى في هذه المسرحية أن الطفلة تفقد الأبوين في أيام طفولتها وفي الشباب يغتصبها ضابط إسرائيلي. ولأجل ذلك تضطر إلى أن تغادر البيت والوطن وتسافر إلى دولة أخرى. الدولة لا تقترب منها إلا البهائم الإسرائيلية التي تظلم الأطفال والبنات بطريقة وحشية، لا رحمة في قلوبهم ولا دمعة في عيونهم ولا إنسانية في نفوسهم. وهذا ما يقوله مائير عن سر معاندته للفلسطينيين: "منذ طفولتي علمني والدي الذي قتله الألمان وهو ينشد مهاتفا أن اليهود يجب أن يرجعوا إلى أرض إسرائيل، ويعيدوا تأسيس مملكتها الكبرى. هذا هو الحق الواضح البسيط الذي يشبه إشراق الشمس ودورة الأيام وكل من يعترض سبيلنا يجب أن نزيله بلا رحمة"[41].

---

[40]. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 74-75

[41]. نفس المصدر ص 159

الفصل الثاني:

قضايا الفقر والتفاوت الطبقي والعدالة الاجتماعية في مسرحيات سعد الله ونوس

يمتاز الكاتب سعد الله ونوس بانتخاب مضامين مختلفة لمسرحياته الطويلة والقصيرة حيث أنه يتحدث من خلال مسرحياته عن حالة الصبيان في حضن أمهاتهم ونشأتهم وطرق سلوك الأبوين. . . . وكذلك يكتب عن حالة أسر العرب بالخصوص الفلسطينين واضحا العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأولاد. والأهم من ذلك أن ونوس قد ركز على الشؤون الأساسية في حياة الإنسان والقضايا التي تتصل بحياة الإنسانفي كل خطوة من خطوات الحياة، وأنها جزء لا يتجزأ من الحياة. امتاز الكاتب سعد الله ونوس بأنه قام بدراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بطريقة عميقة، وركز فكرته المنفردة والمثيرة علي إبراز بعض أهم القضايا التي جزء لا تتجزأ عن حياة العرب والفلسطينين. هذه هي القضايا التي تتعلقبخبزهم وعيشتهم ودارهم ودمعهم ودموعهم وجسمهم وحريتهم ومشاعرهم وما إلى ذلك. هؤلاء الناس لهم وطنهم، ولكن لا حق لهم في وطنهم. ولهم بيوتهم ولكن لا استقامة لبيوتهم، لهم جسمهم ودمهم ومشاعرهم وحريتهم ولكن عليها هيمنة حكومة إسرائيل والصهيونة الخطيرة. فإنهم يقهرون ويظلمون يوما بعد يوم بطرق جديدة وحشية، وأنهم يعاملون مع العرب معاملة البهائم والأنعام.

ومن خلال مسرحياته، نطلع علي بعض العناصر التي هي ضرورية لإصلاح المجتمع العربي، ومنها مكافحة الفقر والتفاوت الطبقي وحفظ العدالة الاجتماعية وغيرها . ولحل هذه المشاكل يسلك ونوس طريق الجرأة والشجاعة في كتابة مسرحياته العديدة. بغض النظر عن شدة الحاكم والسلطنة واستبدادها بل أنه يحاول دائما في كتابة مسرحياته أن يكون المجتمع في ظل المساواة والأمن الاجتماعي، بعيدا عن الفقر المدقع والتفاوت الطبقي بين الناس. لقد كان مولعا بتحسين حالة الفقراء والبسطاء والمتخلفين من الناس في المجتمع، ولتحقيق هذا الغرضكتب ونوس المسرحيات ليعرض حالتهم السئية وأوضاعهم التعيسة ويحثهم على محاولة لتغيير وضعهم الراهن، حتى يعيشوا في الجو الحر الذي لا يعرف الحسد والبغض والعناد والفقر والذي تعم فيه العدالة الاجتماعية. وفي الحقيقة كان الكاتب مؤكدا لقدرة مسرحياته كما أنه يقدر على تنبيه الناس إلي المجتمع وتغيير حالتهم حيث أنه يقول مرة بصراحة عن تأثير المسرحية في المجتمع أنه يعتقد أنه يستطيع أن يغير التاريخ.

وهذا التأكيد على قوة المسرحية دفع الكاتب إلي الاستمداد من تراثه العربي القديم والعظيم ويقدمه في شكل المسرحية الراهنة مشيرا إلى مشكلة مماثلة في الماضي والحال لكي يفهم الناس تلك المشكلة ويتلقى منها الدروس المهمة في حياتهم.

والقول ليس القول فقط عند الكاتب السوري سعد الله ونوس بل يفعل ما يقوله حيث أنه يقدم المسرحية الشهيرة بعنوان "الفيل يا ملك الزمان" سنة 1969م وأثار الضجة، وحكمة تناول مضمونها في ذلك الوقت حينما كان المجتمع محتاجا إلى مثل هذه المسرحية والتنبه لوعي المجتمع الميت، المجتمع سادت فيه الفجوةالواسعة بين الحاكم والمحكوم. المجتمع ليس له العلاقة بحاكمه مباشرة، وليس له رفاهة من جانب الحاكم فيموت الفقراء بسبب الفقر المدقع ليلا ونهارا. والأسوأ من ذلك أنهم يعانون من المصائب الكثيرةولا يجرؤ أحد علي أن يشكو

أمام الملك ضد رضاه . وجميع النشاطات والحركات التي تكون لفرحة الملك هي أحسن العمل عند الملك ولو أنها ضارة لعامة الناس، ولويموت الأطفال وتخرب البيوت والمزارع لتحقيق رضا الملك. فهذه النشاطات والحركات الشنيعة حيث الكاتب سعد الله ونوس على أن يكتب ويصور الظلموالقهر الواقعين علي على سكان القرية، الذي يأتي به فيل الملك في المسرحية: ويبكي المظلوم كما جاء "مساكن الناس تنهدم، تتركهم بلا مأوى. . . . والأطفال يداسون في الطرقات بلا ذنب. . . . الأرزاق تسبى وتضيع. . . . والنخيل. . . . الماشية. . . . لا أمان على شيئ"[42].

وفي نفس المسرحية نرى المملوك المظلوم في المجتمع العربي أنه ليس له حرية في حياته ولا جرأةعلي التكلم أمام الملك ولا قدرة علي أن يشكو إلي الملك عن قتل الطفل بأقدام فيله الحبيب عن فيله الحبيب. . . . وهذه هي الفجوة الواسعة بين الحاكم والمحكوم التي تنتجعن الظلم والاستبداد على المحكومين وتحرمهم من العدالة الاجتماعية والأخوة في المجتمع. حيث يتكلم الناس عن الفيل القاتل أنه محبوب عند الملك وظالم في حق المحكوم، ولهذا لا يستطيع أحد من المظلومين أن يشكو ضد محبوبه ولا يجرأ أحد أن يشكو عن ضحية الطفل "ومن يستطيع أن يعاقب فيل الملك"[43].

وهكذا نرى أن هذه المسرحية تصور الطبقات المختلفة، فالطبقة الأولى هي طبقة الملوك والأمراء، والطبقة الثانيةتشمل الوزراء ومؤظفي السلطة، والطبقة الثالثة تتكون من أغلب الناس أي الجمهور وبسطاء المجتمع. فالطبقة الأولى تشعر أنها أفضل الناس على الأرض فلا تود أن تسمع صوت الطبقة التي تحتها ولا تريد أن تنظر إلى أحوالها، ولا تهتمبأن تسمع شكواها

---

[42]سعد الله ونوس الفيل يا ملك الزماندار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق 1996 ص 9

[43]نفس المصدر ص 3

وألمها وأنينها. وفي جانب آخر، نرى أن الخدم في قصر الملك يعاملون مع البسطاء وسكان القرية بكل ذلة. وذلك حينما يريدسكان من القرية أن يدخلوا في قصر الملك ليشكوا عن قتل أطفالهم وإتلاف زروعهم وتهديم بيوتهم بفيل الملكيمنعهمالحراس من الوصول إلى قاعة الملك ولقائهوتقديم الشكوى إليه عن بطش الفيل وقتله وتدميره وكذلك يأمرونهم باحتقاربترتيب شعرهم وتنظيف أثوابهم وأحذيتهم وتجميد أصابعهم وشفاههم في ذلك القصر، لأنهم فقراء وأثوابهم وأحذيتهم قديمة ودنسة. وحيث نرى في المسرحية أن الحارس يأمر المظلومين "ولكن قبل أن تدخلوا نظفوا أحذيتكم جيدا، وانفضوا ثيابكم كيلا يهرهم القمل أو البراغيث، وأهم من كل هذا أن تدخلوا بنظام وأدب. إياكم أن تلمسوا شيئا وتذكروا أنكم لستم على مذابلكم بل في قصر الملك"[44].

وفي نهايةالمسرحية يصل بعض ضحايا الفيل إلى قصر الملك وكلهم يدخلون فيه بكل هدوء وسكوت ورعب. لأن رعبة الملك غالبة على قلوبهم، فحياتهم مثل ذلك الببغاء الذي هو جميل للغاية وصوته ممتع ورخيم، ولكن لا فائدة من جماله ولحنه لأن الحرية مفقودة في حياته، فإنه يتبع ما يأمره المالك ويريد منه، فحياتهم مثل حياة ذلك الببغاء الذي يكون في القفص والذي يقول: الحبس ليس مذهبي وليس فيه طربي ولو يكن من ذهب، فحياتهم مقيدة لا حرية فيها ورخاء، وبالاختصار يقف هؤلاء المظلومون أمام الملك خاضعين بكل تواضع ورؤوسهم منكسة وهم ساكتون بلا أي حركة. وكأن الطائرات جالسات على رؤوسهم. وبعد ذلك يحدث ما يحسب الملك من الحكومة ، أنهم يخافون أن يلفظوا لفظا ضد فيل الملك بل يمدحون الفيل وطلبوا من الملك زوجة الفيل وأولاده "تتجمد الملامح. يتحول الخوف صمتا باردا. الجميع

[44]سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق 1996 ص15

خافضوا الرؤوس، زكريا في طليعتهم. . . يجرون خطوات ثقيلة على النهوض بعدئذ. . . لا اختلاجة ولا حركة. مجموعة من الأجساد المقسوسة اليابسة"[45].

ويكشف الكاتب عن مشكلة الفقر والتفاوت الطبقي في مسرحية "جثة على الرصيف" 1964م. وضح فيها المسرحي وضع الفقر المدقع الذي يسبب موت الرجل في فصل الشتاء قرب رحاب رجل السلطة الذي كان جالسا مع صديقه أسامة. وفي شدة البرودة وقلة الثوب الشتوي وفقره المدقع، يموت صديق أسامة جالسا بجانبه بدون إحساس. يتفكر أسامة عن حالة فقرهما المدقع وعدم الاستطاعة لشتراء الأثواب الواقعة من البرد، وعدم الحصول علي المكان الساخن، ولكل هذه الأسباب، وقع صديقه فريسة الموت. وفي أثناء ذلك مر من هنا رجل السلطة مع كلبه الكبير الذي يخرج لسانه مع مرور تنفسه، كأنه جائع ويود المأكولات في أقرب الوقت ولما رأى رجل السلطة الجثة، سأل عن اشترائها لطعام كلبه. والسيد يظهر حبه لكلبه لامسا جسم كلبه ورأسه ويقنعه لبعض من الوقت للانتظار ويشيره إلى الجثة الموجودة أمامه حيث يقول السيد لكلبه: "لا بأس يتطلع إلى الجسد من جديد ثم ينحني فيربط على رأس الكلب بحنان، إني أفكر في شرائه إذن"[46].

هكذا نرى السيد الغني كيف يلعب مع مشاعر الفقراء والبسطاء في المجتمع حيث أنه يفضل الكلب على الرجل و أنه يود رضا الكلب وسروره علي جثة الإنسان. وفي جانب آخر، صديق الميت يلتمس منه عدم شراء جثة صديقة علي رغم فقره، فلا خبز لديه ولا بيت له للنوم ولا ثوب له للوقاية من البرد ولكنه يحترم جثة الإنسان ويعرف أهميتها ويقدر كرامتها. ولو أنه ميت مع أن هناك إمكان الحصول على الأموال الكثيرة من بيع جثة صديقه إلى السيد الغني، ولكنه لا يزال ينكر بيع جثة الإنسان لأجل طعام الكلب. حيث أنه يجيب إلي السيد:

---

[45]سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق 1996 ص 17

[46]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 76

"حقا ! ينظر إلى الكلب ثم إلى الشارع يبدو أنني. . . أرجو ألا يكون في ذلك ما يضايقك. . . إني لا أرغب في بيعه"[47].

وتستمر هذه المجادلة حتي يرضي صديق الميت لبيع نفسه بمكان صديقه لطعام الكلب لأن حاله ليست بجيدة من صديقه الميت حيث أنه أيضا يواجه الفقر والبؤس في حياة مؤلمة، أنه يشاهد بعينه موت صديقه بسبب الفقر والجوع والبرد على الرصيف . فهو يظن أنه سيموت مثل صديقه في المستقبل القريب إلا أن تتغير حاله منه، ولذلك يفضل بيع نفسه حيا قبل الموت إلي رجل السلطة والشرطي، ولكن الغني لا يرضي بشراء الحي حيث يجادل كلاهما هكذا "ولكن. . . . أفكر أيها السيد لعلك إن تشتريني. . . السيد: أشتريك ؟. . . . لم أجن بعد حتى اشترى أحياء"[48]. فمن خلال هذه المسرحية يكشف الكاتب حالة الفقر والتفاوت الطبقي في المجمتع العربي بصورة واضحةومؤلمة. حيث أن رجالالطبقات العليا يلعبون بمشاعررجال الطبقات الدنياوبأحاسيسهم وحياتهم ومماتهم. الحيوان أفضل وأعلى من الفقراء والبسطاء عند بعض رجال السلطة. وهذا الفكر يعمل في المجتمع مثل السم القاتل والذي قد عم في المجتمع كنار في الغابة.

يصور الكاتب صور الفقر في مسرحية "مأساة بائع الدبس الفقير" عام 1996م، من خلال هذه المسرحية يشير الكاتب إلى حالة المجتمع العربي والفقراء الذين هم ساذجون في حياتهم وصادقون في أعمالهم، ولكن بعض الناس الأشرار يجربون الخدعة والمكر على البسطاء والساذجين في المجمتع لكي يحصلوا على المكان الرفيع عند الحكماء ويتقربوا من السلطة ويتولوا المناصب العليا. ولتحقيق هذا الغرض الشينع أنهم لا يهتمون بحياة الناس، ولايفكرون في النتيجة، ولا يرحمون على الأطفال والأولاد كما نرى في هذه المسرحية هناك رجل

---

[47]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 77

[48]نفس المصدر ص 82

ساذج اسمه "خدور" الذي يملك ببعض الأولاد مع زوجته ويبيع الدبس (Molasses)على عربة. . . . وأسرته تعيش على هذا العمل والمشغلة. مرة ولدت زوجته ولدافي الصباح الباكر ففرح أبوه بمولوده الجديد فرحا شديدا، وخرج لبيع دبسه بدون رؤية مولوده الجديد لأنه يعلم الأمانة في العمل والدوام والصداقة فيه ويعلم سبب الفرح له ولأسرته جميعا حيث يقول البائع: "فما سمعت بكائه حتى حمدت الله، وحملت كيسي أسأل عن رزقه، ويا له من فأل خيرا"[49].

نرى من خلال هذه المسرحية أن الرجل البائع الفقير ساذج للغاية ويقضي حياته على بيع الدبس في شوارع المدينة ويجول فيها حوالي عشر مرات في يوم لكسب قليل من الربح لسد حاجة أسرته الفقيرة، ولا يرغب في سياسة المدينة والبلاد، ولا يهتم بحوادث جارية، فحياته مشتملة على بيع الدبس وقضاء الوقت مع أسرته حيث أنه يتحدث عن عمله وحياته "ربما. . . حين أطوف المدينة كلها طولا وعرضا دون أن أبيع إلا القليل مما أحمل تنقبض نفسي بمرارة وخيبة"[50].

النقطة المهمة في المسرحية هنا هي أن الفقراء يعملون ليلا ونهارا جائعين لخبز أو خبزين ولا يستطيعون أن يفكروا لكسب الأموال الكثيرة، وكذلك البائع لايتأتى له النظر إلى شؤون السياسة والشراكة فيها، والأسف فوق الأسف نحن نرى في المجتمع بعضا من الناس يعرقلون في كسب خبز الفقير ويختطفون اللقمة من فمه ويحرمونه من فرحة حياته. هكذا هو يظلم الناس البسطاء في المجتمع، فالكاتب يكتب عن حياة البائع الفقير في هذه المسرحية مفصلا حيث أنه يكتب عن البائع أنه يقضى حياته على بيع الدبس في شوارع المدينة ولكن يقف أمامه رجل أجنبي ويعرف نفسه كما أنه جاره القديم فيصدقه البائع ويوفره دبسه اللذيذ مجانا ليذوقه ولكن هذا الرجل يدعي نفسه باسم حسن ويحث البائع ضد الحكومة ويجبره على بيان حياته الفقيرة

---

[49]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 129

[50]نفس المصدر ص 134

واليابسة . في البداية البائع الفقير يرفض أن يقول شيئا عن الحكومة وشؤونها، لأنه خائف من السلطة وأحكامها "لم أسمع يا جاري لم أسمع شيئا البتة ستموت عائلتي لو تفرغت للقيل والقال[51]" ولكن بعد حثه مكرراتحدث عن حالته المؤلمة الفقيرة وخوف السلطة وهيبة الحكومة وغيرها. ولما جعل يبين شؤون الحكومة وجد نفسه في السجنوقدميه في السلاسل وحياته في المظلمة وأسرته في المأساة. أنه يصف ألمه هكذا "كنت أصيح في المدينة عشر مرات كل يوم حتى أستطيع تأمين إكفاف لعائلتي. منذ ستة شهور وأربعة أيام وأنا أذوق أقصى ألوان التعذيب أظن أهلي مفقودا"[52]. ثم نرى في هذه المسرحية أن الرجل الأجنبي "حسن" يلتقي البائع باسم جديد "حسين" ولكن عمله وغرضه نفس الخدع والمكر. وهذه المرة أنه يدعي عن نفسه أنه رجل جديد واسمه حسين . ولكن البائع يقول أنك رجل قديم اسمك حسن ولكنه يفهّمه بكلام ممتع حيث أن الله قادر على خلق المماثلة، فأنا جديد وهذا يمكن أنك رأيت رجلا مثل نفسي. وهكذا حسين يخبره عن ابنه "إبراهيم" المغني الذي يصير ضحية رؤساء المجتمع. وذلك أنهم قطعوا أيديه وأرجله وفروة رأسه وأرسلوه إلى بيته حيث يقول حسين للبائع لكي يغضب على الرؤساء ورجال السلطة لأجل سلوكهم مع ابنه ويقول ضدهم "صبرا. . . ستسمع ما هو أشد هولا فبعد ساقة قطعوا يده وأرسلوها إلى أهله. . . . وبعد ساعة أخرى قطعوا ساقة وأرسلوها إلى أهله. . . وفي غضون ساعة أخرى قطعوا رأسه وأرسلوه إلى أهله فإن يسمع الأب عن ابنه الصغير الذي قتل وحشيا فكيف يسكت بدون غضب وبكاء ولكن دعا من الله واستدعى الرحمة والشفقة للرؤساء[53]. وفي نفس المسرحية يشير الكاتب إلى أن ذلك الرجل الأجنبي يدعي باسمه "حسن" ثم "حسين" ثم "محسن". وجاء إلى هذا البائع الفقير، وجعل يقنعه على ذاته أنه رجل سخي وكريم ، يريد مساعدته. وكذلك أن اسمه محسن، أولا يرفض البائع ويقول: مرتين لقيت

---

[51]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 135

[52]نفس المصدر ص 141

[53]نفس المصدر ص 150

رجلين مثلك من قبل الآن أنت أيضا مثلهما ولكنه يقول "لا أعلم حسنا ولا حسينا أنا محسن أي حسن وأي حسين عمن تتكلم ؟ إني محسن. . . ألم تسمع جيدا ؟ اسمي محسن ولم يجد أحد قبل الآن ما هو المستغرب في هذا الاسم"[54] وردا على كلامه المقنع وألفاظه الخادعة يقول البائع: "حقا. . . . وسواء كنت حسنا، أم حسينا، أم محسنا، فأنا. . . . أنا. . . . كما ترى يا صديقي الكريم أخرس اللسان أبكم. . . ورغم هذه السن الكبيرة. . . . لم أفلح في تعلم الكلام"[55] وفي هذه الطريقة نجد من خلال هذه المسرحية الناس يغيرون وجوههم وألوانهم ورموزهم ويخدعون الآخرين بطرق شتى. لا يراعون عظمة الإنسان، ولا يهتمون بكرامته وشرفه، ولا يحترمون حياته، بل أنهم عناصر المجتمع الخطيرة والمهلكة. ولأجل ذلك لا يستطيع الفقراء أن يخرجوا عن حالتهم البئيسة والسيئة. ويحسنوا حالتهم المؤلمة. وكذلك يرتقى الأمراء والأغنياء يوما بعد يوم إلى السماء والفقراء والساذجون يعيشون للآبد في حالتهم التعيسة. حتى تمتد المسافة بين الأغنياء والفقراء في مستوي العيش والعلم والفكر والتربية، مسافة واسعة يصير الأغنياء أفضل الإنسان في المجتمع في زعمهم، ويصير الفقراء أدنى الإنسان فيها والحقأنهم أضل وهذه هي صورة قبيحة للإنسان في مجتمعنا.

---

[54]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 159

[55]نفس المصدر 1965 ص 160

الفصل الثالث:

سعد الله ونوس والقضايا الاجتماعية العامة في المجتمع العربي السوري

حياة سعد الله ونوس مليئة بشتى الآلام والمحن. ولد في أسرة فقيرة عانى من مشكلة البؤس في طفولته وفي نهاية حياته أصيببمرض السرطان حتى أنه كافحه خمسة أعوام. وفي شبابه قام بالنشاطات العديدة في جامعة القاهرة بمصر وجامعة السوربون بفرنسا. و قد عاش حوالي 56 سنة على الأرض وأعماله الممتازة والمفيدة لا تزال تؤثر على قرائها. لأنه عاش للناس وعمل للفقراء وكتب للبسطاء وقضى حياته من أجل تأمين حقوق الإنسان الأساسية. لقد رفع صوته من طريق المسرحيات لإبراز أهمية الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية. وأنه ألبس أعماله بلباس جديد "فكرة تسييس" بمعنى السياسة. ومن خلال مسرحياته آلام الناس ولوّنها بألمه النفسي حتى طابع نفسه لآلامهم وأعمالهم وأحلامهم للتغيير المجتمع السوري خاصة والمجتمع العربي عامة.

قدم ونوس من خلال مسرحياته القضايا الاجتماعية السورية خصوصا وقضايا العرب عموما. قد حاولنا في هذا الفصل أن نذكر بعض أهم القضايا منها، نظرا إلى مسرحياته، فمسرحيته الشهيرة "الفيل يا ملك الزمان" وإن كانت هي قصيرة جدا من حيث الحجم والصفحات ولكنها تدل على قضية مهمة وكبيرة وقضية لا يجترئ كل كاتب ومسرحي على أن يكتب عنها،

قضية لا تصل إلى كل قلم وقرطاس لأنها تحتاج إلى الشجاعة القوية للكتابتة عنها، والقلب الكبير لبيانها. والكاتب ونوس يستطيع أن يذكر تلك القضية المهمة. لأنه يموت لمجتمعه، ويقضي حياته للقيم الإنسانية. فإنه يرى جميع الإنسان سواء لا فرق بين رئيس وفقير، ومحتاج وذي مال، فلا فضل لأحد مهنم إلا بالتقوى، فلا يوجد عنده التفاوت الطبقي والاجتماعي. فهذا هو الكاتب سعد الله ونوس الذي يدرك أهمية الإنسان ويرفع صوته من خلال مسرحياته ضد القهر والقمع والتفاوت والتفريق بين الإنسان في المجتمع. ويصوّر ألوان القهر والقمع في مجتمعه العربي السوري في هذه المسرحية القصيرة.

فأغلب الشخصيات في هذه المسرحية فقراء وبسطاء، يعيشون على الزراعة ويقضون على زروع الحقول، والملك يعيش مع حبيبه الفيل، فيل الملك هو حبيب الملك ولكن الفيل شرس للرعية . كما يجول الفيل الحقول ويتلف زروعها ويجري زقاق المدينة ويهدم بيوت الناس ويمر بالحارة ويدس الأطفال فجعل الفيل يعيث الفساد في ذلك المجتمع "ولكن يا جماعة أصبحت حياتنا لا تحتمل ولا نطاق. ما الذي يمكن أن يخفينا أكثر من هذا البلاء المقيم ؟ التهديد كالسيف فوق رؤوسنا وضحايا تتزايد من يوم إلى آخر. . . . مساكن الناس تنهدم وتتركهم بلا مأوى. . . . الأطفال يداسون في الطرقات بلا ذنب. . . . الأزراق تسيئ وتضيع. . . . النخيل والماشية. . . لا أمان على شيئ"[56]. هذه الصورة المذعورة كانت في ذلك المجتمع، فيل الملك كان آلة القمع للرعية والبسطاء. وعمل الفيل كان معروفا لدى الحكومة ونشطاته الضارة كانت مقبولة عند السلطة. وكان الناس لا يستطيعون أن يقولوا شيئا ضد الفيل المتغطرس. ولا أحد يجرأ على الشكوى عند الملك. لأن المجتمع ليس بحالة عادية بل كان يسود فيهالخوف من القمع ورعب من جبر السلطة. كانت هناك الفجوة الوسيعة بين الملك والمملوك، الفجوة ممتلئة بقهر الملك فقط. فأمام الرعية كانت هناك سلسلة القهر وتلك السلسلة

[56]سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق 1996 ص 09

تقفل على حرية لسان الرعية وترهبهم للتقدم إلى عرش الملك الظالم. فأصبحت الظروف في المجتمع أسوأ. الفقر يهجم على صحتهم وجسمهم ويحرمهم منشبع بطونهم واستخدام لباسهم. والقهر يغلب على عقولهم . وقلوبهم يهب عليها هواء الخوف والقهر "نشكو أمرنا للملك. ندخل إلى القصر ولم لا. . . . ومن نحن حتى نتحدث مع الملوك !. . . . نحن ناس مظلومون. . . . قد يغضب، فلا يعلم بمسيرنا إلا الله[57]. ولما تفاقمت الأحوال وساءت يوما بعد يوم، وضاقت حياة الناس وصعب خروج الأطفال على الشوارع والزقق لظلم فيل الملك حضروا أمام الملك لكي يشكوه عن فيله الشرش. ونظرا إلى أدب الملك، إنهم يمرون كثيرا من التدريبات ليجعلوا أصواتهم مماثلة أمام الملك للشكوى. أنهم يجربون بالذهاب والقيام لكي يقيمواأمام الملك من خلال زيارتهم إلى الملك العظيم. ويقوم بهذه التدريبات الشخصية الرئيسية في هذه المسرحية التي هي جريئة بين المظلومين . حيث أنه يقود الناس لزيارة الملك يقول لهم "كما قلت لكم مرارا. المهم هو النظام. أن تكون كلمة واحدة وصوتا واحدا، كلما أتحدث أصواتا ازداد تأثيرها، اشتد وقعها، ندخل هكذا. . . . فنحن أمام الملك بكل احترام وأدب، ثم أصرخ بملأ فمي الفيل. . . . . يا ملك الزمان"[58]. فتظهر من ذلك أن ظروف الناس في المجتمع أقبح من فيل الملك الذي يستطيع أن يذهب إلى ما يريد ويقوم ما يود ولو يكون ذلك سببااللضرر للإنسان والزروع والحقول والبيوت والمجتمع. ولكن الرعية امتلأت قلوبها من الخوف وقهر الملك. وفي نهاية هذه المسرحية يريد زكريا وجماعته من المظلومين بعد التمرين المستمر الطويل أن يقدم الشكاوى، ولكن رعب الملك وهيبته تسدد فم زكريا ومن معه من الجماعة حتى تتغير الشكوى إلى الاقتراح. يخاف زكريا أمام الملك ويظهر من لسانه المتحرك والصوته المنكسر أنهم جاؤوا لطلب الفيلة لكي يجد الفيل صاحبته وحبيبته ويقضي حياته ممتعا، ويكثر الفيل في المدينة يوما

---

[57]سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق 1996 ص 8

[58]نفس المصدر ص 11

بعد يوم "نحن نحب الفيل يا ملك الزمان مثلكم نحبه ونرعاه. تبهجنا نزهته في المدينة وتسرنا رؤياه. تعودناه حتى أصبحنا لا نتصور الحياة دونه. . . . ولكن لاحظنا الفيل دائما وحيدا لا ينال حظه من الهناءة والسرور. الوحدة موحشة يا ملك الزمان. لذلك فكرنا أن نأتي نحن الرعية فنطالب بتزويج الفيل كي تخف وحدته وينجب لنا عشرات الأفيال. مئات الأفيال. آلاف الأفيال كي تمتلئ المدينة بالفيلة[59]. "

هذه المسرحية تحكي مشكلة المجتمع السوري؛ المشكلة التي تسد الإنسان أن يقوم بأي عمل بالحرية ويتطور في حياته ويعيش حياة سارة وممتعة. فالقهر والقمع في المجمتع مثل السم القاتل الذي يكمم القائل ويجمد العاقل ويشل المفكر ويختطف الحرية ويتلف حياة الإنسان. فالكاتب يود أن يكون المجتمع خاليا من القهر وبعيدا عن الظلم لكي يتنفس كل فرد من المجتمع نفس الحرية لأن حياة الإنسان مثل تلك الزهرة التي تتمتع باتصالالشجرة في الحديقة ويظهر جمالها وتنتشر رائحتها وتبتهج نفوس الناس وإن لم لا تتصل بالشجرة لا يمتد جمالها حتى يوم أو لأقل منه. وصارت رائحتها كريهة. هذا هو مع الإنسان أيضا. فإن وجد الزعيم الذي يرشده ويقوم الإنسانبأعماله بالحرية. فإنه يفوز في حياته، ويفيد الناس كذالك. وإن يعيش في الظلم والقهر لا يستطيع أن يتطور ولا يكون مفيدا لذاته أو للناس . بل يمكن أن يكون آلة للملك الظالم ولعبته وحياته تكون أقبح من الحيوان والأنعام.

ومن القضايا الاجتماعية في مسرحية ونوس "جثةعلى الرصيف" نري الظلم والقهر من الزعماء على الفقراء والبسطاء حتى بعد مماتهم، هذه المسرحية قصيرة ولكن نوعية الظلم أكبر من مسرحياته الأخرى. لأن الأمراء والزعماء يتجاوزن الحدود في الاستبداد على مواطني البلد ويقومون بالعمل الشنيع الذي ترتعش منه الإنسانية. في الحقيقة تدور هذه المسرحية حول

---

[59]سعد الله ونوس، الفيل يا ملك الزمان، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق 1996 ص 18

قضيتين رئيستين، الأولى منها قضية الفقر والثانية قضية الظلم أي فقر المواطنين والبسطاء، وظلم الأمراء والزعماء على الفقراء. يوضح الكاتب القدير سعد الله ونوس تلك الظروف لرجلين فقيرين يواجهان حياتهما الفقيرة. فيمران من هنا إلى هنا حتى يجلس كلاهما على الرصيف تحت السماء العارية وكان الليل باردا شديدا في الشتاء الوسيط كأنهما في أشد المصائب لفقد بيوتهماللراحة والنوم. ولفقد لباسهما للبرودة ولانعدام الطعام لهما. كلاهما يقضيان حياتهما القاسية والمريرة ويريدان أن يتخلصا من حالتهم الباكية. ولما مات أحدهما ووصل إليهما الشرطة لتبعد كلاهيما من الرصيف لأن ذلك الرصيف قريب من بيت رجل السلطة. والزعماء لا يسمحون الفقراء بأن يتجولوا قرب بيوتهم. "أسامة" صديق الميت يجيب الشرطة عن صديقه أنه مات بسبب البرد الشديد. فإنه ليس نائم ههنا كما أن الشرطي يشير إلى الميت زاعما أنه نائم هناك. وبعد قليل يمر بهم رجل من السلطة مع كلبه الكبير والكلب ينبح مرات غير مرة. ويطالب من صاحبه طعامه وصاحبه ينظر إلى الجثة ويجيب كلبه أنه سيجد طعامه في القريب. ويكون طعامه لذيذا للغاية "لا بأس. . . يتطلع إلى الجسد من جديد ثم ينحني فيربت على رأس الكلب بحنان إني أفكر في شرائه إذا"[60].

يتعجب أسامة من طلب رجل السلطة الذي يريد شراء صديقه الميت طعاما لكلبه وأنه يتعمق في فكرته، وفي حزنه. وكأنه جعل يتكلم مع الجثة ويسأل عن نفسه وجثة صديقه لماذا ليست الثروة لديهما. لماذا قضوا حياتهما في الفقر المدقع دائما. ولماذا بعد الموت لا قيمة لجثة صديقه حتى لا يعامل معاملة الإنسان مع جثة صديقه. يريد رجل السلطة أن يشتري الجثة ويطعم كلبه. وصديقه الحي أسامة يستمر في رفضه لبيع جثة صديقه. والشرطييقوم بتمثيل أمره ويلعب مع القيم الإنسانية وكرامة الفقير. وأسامة لا يزال يصرخ ويلتمس من السيد والشرطة أن لا يشتريها ولا يشقها . كما أنه يقول لهما الإنسان إنسان في الحياة وكذلك بعد الموت فعلى

[60]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 76

الإنسان أن يقدر الكرامة الإنسانية ولا يشتري الجثة ولا يلعب معها ولا يطعم الحيوانات "يبدو أنني. . . . أرجو ألا يكون في ذلك ما يضايقك. . . إني لا أرغب في بيعه. [61]" ولما علم أسامة أنه لا يستطيع أن يغلب على الشرطة ورجل السلطة في مجادلة جثة صديقه يقدم نفسه أن يشتريه لأنه حي ولكن فقير للغاية ومن الممكن أنه سيموت في القريب بسبب الفقر المدقع ولكن رجل السلطة يرفض شراءالرجل الحي قائلا: "أشتريك ؟ . . . . لم أجن بعد حتى أشتري أحياء. . . [62].

ومثل هذه القضايا الاجتماعية يذكرها الكاتب في مسرحيته "مأساة بائع الدبس الفقير" أيضا حيث تدور هذه المسرحية حول قضية السلطة وقضية ممارسة القمع على البسطاء. حيث نجد من خلال هذه المسرحية الرجل الفقير الذي يعيش مع زوجته وأولاده وطريقة اكتسابه في الطريق ببيع الدبس في حارة المدينة. ولأجل ذلك أنه يتجول المدينة ماشيا على أقدامه مع عربة صغيرة حوالي عشر مرات. وهورجل ساذج لا يعرف عن الحكومة ولا يرغب فيها ، لا يعلم عن السياسة شيئا، ولا يهتم بها. أنه يصبح مع أولاده ويبيع دبسه في أنحاء المدينة طول اليوم ثم يرجع إلى أسرته مع بعض الربح من تجارته ويقضي حياته بالسذاجة والأمانة. ولكن مرة يلتقي به رجل أجنبي يدعي أمام بائع الدبس أنه جاره واسمه "حسن". فهو يتحدث مع البائع الفقير وقتا مديدا بطريقة ممتعة لكي يقنعه أنه أمين له وصادق في قوله. فيحثه على السياسة والسلطنة وأعماله الصعبة وكسبه القليل. والبائع لا يزال يرفض أن يلفظ شيئاضد الحكومة والسلطة ويطلب من حسن أنه متأخر وله أسرة وأيضا له مزيدا من الدبس عليه أن يبيعه ذلك قبل غروب الشمش. لأن أسرته مشتملة على كسبه فقط. فإنهالواحد الذي يكتسب لأسرته الكبيرة. ولكن الأجنبي يود أن يتحدث البائع ضد الحكومة والسلطة. فيقول البائع في

---

[61]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 77

[62]نفس المصدر 82

خدعة حسن "لم أسمع يا جاري. لم أسمع شيئا البتة. ستموت عائلتي جوعا لو تفرغت للقيل والقال"[63]. يلعب حسن بألفاظه وكلامه حتى يجبر بائع الدبس أن يفتح فمه حتى يجد البائع نفسه في السجن والسلسلة في رجليه. وفي وقت قليل يظهر أمامه حسن باسم جديد حسين ويقول إني حسين. ويواصي أنه سيساعد البائع في مشكلته المريرة. ثم يتحدث وقتا طويلا حتى يبين حسن، أن صبيا في المدينة قُتل وأرسلت جثته إلى بيته لسبب الغناء. كان اسمه إبراهيم. فيفهم البائع أنه ذلك الصبي ابنه فقط . فإنه يتعرق في الألم والهم والغم: "لن تصدق. . . طفل كان يغني عابثا فقبضوا عليه. . . . كانت أغنية من زمن سالف. فأطبقوا عليه وسلخوا فروة رأسه. . . . صبرا. . . وستسمع ما هو أشد هولا. فبعد ساعة قطعوا يده وأرسلوها إلى أهله. صبرا. . . . صبرا. . . . وبعد ساعة أخرى قطعوا ساقة وأرسلوها إلى أهله. . . صبرا. . . صبرا. . . وفي غضون ساعة أخرى قطعوا رأسه وأرسلوه إلى أهله"[64].

هكذا نرى أن البسطاء والفقراء يواجهون الظلم والاستبداد بدون أي ذنب وخطأ البائع الساذج الفقير يدخله في السجن. وبعد ذلك يقتل ابنه الصغير ويبين أمامه حكاية قتل ابنه المؤلم بكل تفصيل لكي يدمعويموت موتا شريرا، ما أقبح المجتمع ! وما أقبح الخادع ! يخدع الفقراء والبسطاء في المجتمع، ويفرح على مصائب الناس، ويلعب مع دموعهم، ويقتل أحلام مستقبلهم، ويتلف حياة الأجيال القادمة. وهكذا البائع لا يقضي حياته في السجن. ويظهر عليه نفس الرجل باسم جديد مرة أخرى قائلا أنا محسن. فيقول البائع له قلت أولا بأنني حسن ثم حسين الآن تقول أنك محسن. حيث ذكره الكاتب السوري في هذه المسرحية: "وحسن وحسين. تذكر الخضر لا يجب الخداع. . . . هل أنجبت أمك ثلاثة ثوائم مرة واحد"[65].

---

[63]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 135

[64]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 150

[65]نفس المصدر ص 150

كما أظن أنا شخصيا أن تغيير الأسماء لرجل واحد يدل على أن الفساد عام و منتشر في المجتمع الإنساني، ويتشكل بأشكال مختلفة، وهو يكون اخطر عندما يقع علي أيدي رجال السلطة الذين يرتدون أقنعة لخداع الناس، وهم يبلغون الحد الأقصي في القساوة عندما لا يرحمون عليالفقراء والبسطاء أيضا. بل يحاكمون عليهم بالقوة، ويدخرون الأموال علي حساب الفقراء والبسطاء. فالفقراء والبسطاء لا مكان لهم في المجتمع الإنساني في الحقيقة. فهذا الرجل محسن مرة أخرى يتحدث مع البائع كثيرا ويشغل البائع في المضامين. ويحثه ضد السلطنة والحكومة. حتى يصل إليه رجل آخر الذي يركل البائع المظلوم. الذي يصرخ من شدة الألم حيث يقول الرجل للبائع: "وتمس رجلي مع هذا (يركله مرة ومرة) أيها البعوضة الكئيبة. قد يعلمك هذا من أنت. . . . يزحف نحو وسط الشارع. يحاول أن يسير، لكنه يكبو ويتداعى حطاما على الأسفلت"[66]. هكذا أنهم يعاملون مع الساذجين معاملة الأنعام والبهائم على رؤس الأشهاد. ولكن لا يجرء أحد من المدينة أن يرفعصوته ضد الظلم والقهر. لأن القهر كان غالبا على شجاعة الناس. وخوفهم كان أقوى من حريتهم مما يمنعهم عن فتح لسانهم ضد الظلم والقهر.

يقدم الكاتب سعد الله ونوس بعض النماذج من خلال هذه المسرحية التى تدحرج مع الصوت الغائب. وذلك الصوت يشير إلى رجولة الناس وشجاعتهم وحريتهم وأعمالهم ونشاطاتهم. ومن خلال هذه النماذج يود الكاتب أن يشير إلى الناس الذين صاروا تماثيل، لا إحساس فيهم ولا شعور ولا عقل ولا قلب لهم. لأن الرجل في المجتمع الإنساني يرى الظلم من عينيه ولكنه لا يحاول أن يخالفه أو يرفع صوته أو لا يحس مظلومية الآخر أو لا يهتم بمقهوريته. وهذا خطير عظيم للإنسان أن لا يرفع الصوت ضد الظلم والقهر في المجتمع. لأن

[66]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 167

المجتمع يشتمل على أفراد مختلفين، فإن ظُلم أحد منهم يوما فاليوم القادم يُظلم الآخر حتى تمتد رداء الظلم ووسعة القهر. وتغطي تذلك الرداء المظلم والفقير الثري والكبير والصغير والرجل والمرأة وهلم جرا، ولا يبقي أحد أن محفوظا من الظلم. فيكتب الكاتب بعض الأبيات بخضوض ذالك يقول: "اندسر. . . . تحطمت تماثيل أخرى. . . . وفي ضمير الساحة لا تزال حكايات لم ترد. حكايات عن بائع برتقال. . . عن بائع البصل. . . عن موظف مصلحة المياه عن طالب المدرسة. . . . وطفل الحضانة لم تحمه الحداثة. . . . إلى آخر. . . . "[67]

وفي المسرحية "المقهى الزجاجي" نجد القصة الاجتماعية. وهي البطالة عن العمل والغفلة عن الدنيا. هذه المسرحية تعري بطالة السوريين ونشاطات الشبان والرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين إلى ستين. إنهم عاطلون عن العمل فصاروا مدمنين على التدخينن ومرتادين علي المقاهي ويلعبون فيها شتى أنواع اللعب ويشربون فيها مشروبات عديدة مسموح بها أوغير مسموح بها من المجتمع، ثم يرجعون إلى بيوتهم مساءا دون كسب أي مال يشترون به الخبز. وهذه سلسلة أفعوانية من البطالة في المجتمع العربي التي تدفع جماعة من الناس إلى التدهور الخلقي والاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي، وترميهم يوما بعد يوم إلى بحيرة البطالة العميقة.

من خلال هذه المسرحية يشير الكاتب إلى مشكلة البطالة في المجتمع السوري بالخصوص والبلاد العربية بالعموم. ويحاول أن ينبههم إلي غفلتهم وهي الحالة التي لا هدف فيها ولا ثمرة ولا إحساس ولا شعور ولا عزم فيها، معظم الأفراد في المجتمع يجلسون على الكراسي ويشغلون في الألعاب التي لا فائدة منها في حياتهم ومماتهم: "بعضهم يلعب الورق بعضهم يلعب النرد. . . البعض يدخن. . . البعض نائم. . . الزجاج المترمد لا يعكس على

[67]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 169

الوجوه إلا بهوتا مسفرا لا يذكر بالنهار ولا بالفصول. . . . بل بحكاية قديمة تدور كلها في بئر تحت الأرض"[68] هكذا نرى الشبان يضيعون أوقاتهم الثمينة والذهبية في الشأي ولعب الورق ويرمون مستقبلهم إلي هوة عميقة من البطالة والذل و الهوان. والسلطة لا تهتم بمستقبل شبان بلادها، بل تتمتع بالكرسي المريح والقوة المطلقة. والرعية تغرق في البطالة الخطيرة يوما بعد يوم. من المؤسف أكثر من ذلك أنهم لا يفكرون في حياتهم الغالية، ولا يهتمون بالحوادث والمصائب التي تحدث خارج المقهى، كأن الشاي هو هدف الحياة لهم في المقهى.

وبلغ الأمر أقصاه حين رحل الرجل عن الدنيا ولكن لم يتأسف أحد من أصدقائه في المقهى علي موته، بل ظلوا منهمكين في اللعب والذي فعلوه بصديقهم الميت كما قالوا بالصوت المتوسط مع الورق بيدهم: "يا حسرتي. من التراب وإليه. . . . كلنا إليها. . . . القبر ستر للإنسان. . . لا إله إلا الله الحي القيوم يجب ألا يتأخر الدفن"[69]. فهذه العبارات الصادرة من المنهمكين باللعب والشرب تدل علي غفلتهم الشديدة والأسف فوق الأسف لا تهتز قلوبهم بموت صديقهم ولا يحرك ذالك ساكنا فيهم، يقول الكاتب: "لا يطرأ أيما تغيير وتبديل على وجه الزبائن. ملامحهم أرسخ من الاهتزاز بالأحداث الجارية"[70]. كذلك نرى الرجلين الذين يأخذان الجثة ويخرجان من المقهى وأصدقائهم يشتغلون في أعمالهم الخطيرة أي لعب الورق وشرب الشأي، ثم يدخل زبون جديد ويجلس على كرسي الميت ثم يملأ الكأس الزجاجي ويشرع احشاء الشاء ولعب الورق كالعادة. هكذا نجد البطالة غارقة في الشباب و السلطة متشبتة علي كرسيها، فما معني الحياة ؟؟وما شأن الشبان في المجتمع والبلاد، فإنهم كالموتي، يتحدث الزبائن في المقهي بينهم: "لا تيأس. . . لست أول من تحل به الهزيمة. . . . وتذكر أن الدنيا

---

[68]سعد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص 104

[69]نفس المصدر ص106

[70] نفس المصدر ص 106

سجال. . . لا أتحدث عن الهزيمة. . . هناك ما هو أسوأ. . . . أنظر. . . . أنظر قليلا إلى الخارج. . . ما هي تنهال ستتحطم جمالنا. . . أ حقا لا تربها وهي تنهال كالقذائف الزجاج يمتلئ شروخا. . . لقد متنا. . . . إننا أموات"[71].

وفي مسرحية "طقوس الإشارات والتحولات" يذكرونوس قضية اجتماعية أخرى وهي حرص المنصب والسمعة بين الرجل الدين المفتي وبين رجل السلطة نقيب الأشراف. ومن خلال هذه المسرحية نرى كيف يتمتع كلاهما بحياتهما في بيوتهما وفي نفس الوقت يتمتع بالشهرة والسمعة في المجتمع. هذه القضية تتعلقبمدينة "حلب" حيث يتمتع نقيب الأشراف في حديقته مع الغانية والراقصة. والمفتي الذي يقابل نفسه بمقام نقيب الأشراف في السمعة والشهرة. يدخله في السجن بإصدار فتوى ضد الفحش والغناء مع الراقصة في الحديقة. وبعد أيام يتغير إيمان المفتي ويود أن يتمتع مع زوجة نقيب الأشراف التي طُلقت. ويقول المفتي عن الفتوى أنه سيحاول بموافقته والزوجة تصير راقصة وغانية، يقول المفتي لزوجة نقيب الأشراف المطلقة: "لا أدري إن كان وسواسا، أو حمقا، أو جنونا. منذ التقيتك وصورتك تلاحقني. إنك قلق في الفؤاد واضطراب في الروح لا أدري ماذا أقول. . . ولكن أرجو أن تعقلي وأن تقبلي عرضي"[72].

هكذا نرى أن زعيم القوم يسيئ الطريق السليم ويسلك على طريق فاسد. وقائد القوم الديني المفتي هو أيضا يلصق بالمرأة الغانية والراقصة. ويلعب مع عظمة مقامه المرموق كما أنه يقول لتغيير الفتوى للحصول على تلك المرأة، وفي النهاية نرى أن أخ المرأة يصل إليها لقتلها لأجل عملها المكروه ولكنها تصرخ أمام شقيقها وتكرر أن قتلها لا تقلل المرأة الفاسدة. بل أنها حكاية. وهذه الحكاية عامة وكثيرة في مجتمعه. وذلك نتيجة ظلم الرجال وقهرهم. الحكاية لا تختتم بالقتل بل عليه أن يقضي على الظلم والقهر على النساء. حيث أنها تقول لشقيقها:

---

[71] عد الله ونوس، حكاية جوقة التماثيل، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1965 ص120

[72] سعد الله ونوس: الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا 1996ص 555

"أنا يا صفوان حكاية والحكاية لا تُقتل. أنا وسواس وشوق وغواية والخناجر لا تستطيع أن تقتل الوسواس والشوق والغواية. . . إن حكايتي ستزدهر الآن كبساتين الغوطة بعد شتاء ماتز إن "الماسة" تكبر وتنتشر. إنها تنشر مع الخواطر والوساوس والحكايات حكايات حكايات. [73]"

وهذا واضح جدا في في هذه المسرحية، أن الرجال يظلمون علي النساء في المجتمع العربي ولا يعطون الحقوق حسب حقوقهم. ولا ينظرون إليهنبتلك النظرة التي تناسب لهن، وهنا المرأة لا تستطيع أن تواجه قهر أبيها أو زوجها فتغير مهنتها إلي مهنة أخرى أو مشغلة مكروهة، وعدا ذالك الرجال يفتخرون بقيام الظلم على المرأة وقتلها. حيث نرى في هذه المسرحية أن "صفوان" شقيق المرأة، يقتل أخته بالخنجر ويدعي أمام والده أنه رجل قوي و جريئ، فيه رجولة. وأنه يفتخر برجولته لأنه قد قتل شقيقته بيده: "قتلتها. . . . . بخنجري هذا. . . قتلتها. . . إني رجل. . . إني رجل. . . . أنظر يا أبي. . . إني الرجل بينكم[74]. "

وفي هذه المسرحيات الثلاث "يوم من زماننا" و"أحلام شقية" و"أيام المخمورة" يذكر الكاتب فيها القضايا الاجتماعية العامة التي تدور بين الأسر والعائلات وبين الأزواج والزوجات. ففي المسرحية الأولى "يوم من زماننا" نرى كيف تتدهورالقيم الإنسانية وتغرق عظمتها في المجتمع السوري، معلم الرياضيات اسمه فاروق يرى مجادلة البنات في داخل الصف في المدرسة بين البنتين عن قضية الدعارة والفحش. إنه يخجل من النشاطات الرذيلة في داخل المدرسة بين الطلبة. فيقصد إلى مدير المدرسة للشكوى ولكن المدير لا يرى في فحش البنات شيئا مكروها، ولأجل ذلك ينتقل المدرس من ذلك المكان إلى مدير المنطقة ليخبره عن مجادلة البنات وعن الأعمال الشنيعة في منطقته: "كان الجميع يتحدثون عن ذلك

---

[73]سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، لأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 596-597

[74]نفس المصدر ص 597

في المدرسة، خارج المدرسة[75]. " وعن زيارتهن من مدرستهم ولكن المدير يحسب تلك النشاطات الغربية والشنيعة يشكو من الوقت الحاضر ونموذجا من النماذج المعاصرة. فلا يرى فيها أي حرج وتردد. وأنه يقول بكل فخر أن ابنته تدرس في تلك المدرسة وتزور تلك الدعارة . وأنها صديقة لزوجة معلم فاروق الذي جاء به لشكاية البنات. حيث يقول فاروق أستاذ الرياضيات لمدير المنطقة: "لا. . . ليست الدراسة. بل هو أمر أخطر. . . كيف أقول لك ! أرجوك لا تؤخذني. . . ولكني سمعت ذلك بأذني. إحدي زميلاتها قالتها. وهي لم تكذبها. . . هل تعلم أنها تتردد على بيت ألست فدوى أي بيت الدعارة. . . . نعم. . . وهي تحب زوجتك كثيرا. . . إنهما تلتقيان عند ألست فدوى. وهي تقول إن زوجتك هي الوحيدة التي استحقت صداقتها[76]. "

فحينما يسمع المعلم فاروق عن زوجته وعملها الشنيع في بيت الدعارة يقصد إلى بيته ليسأل زوجته ولما يتوافق قول المدير فإنه ييأس من الدنيا وما فيها ويود أن يبتعد من نشاطات الدنيا وينتحر بسبب عمل زوجته الشنيع. فتحكي المسرحية أن سرطان الدعارة كيف ينتشر بين أفراد المجتمع الإنساني وتعم هذه الرذيلة بين طلاب المدرسة ومكتب السلطة. والأسف فوق الأسف مدير المدرسة لا يرغب في قضية الأخلاق وقيمها. ويظن النشاطات الرذيلة هي نشاطات من العصر الحاضر فلا يرى فيها أي شين المجتمع. وهذه الغفلة الخلقية تؤدي إلى انتحار الشرفاء وانتشار الفساد في كل مكان وزمان. : "لم يعد لي زمان ولم يعد لي مكان. ما اكتشفته في المدرسة والجامع والشارع والمديرية وبيت ألست فدوى، لم يطرق لي في هذا العالم

---

[75]سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 219

[76]نفس المصدر ص 225 و 226

مجرى صغيرا أتطوى فيه. إني وحيد وضائع. . . غريب. . . وكل شيئ غريب، ولم يبق لي إلا الرحيل[77]. "

وفي مسرحية "أحلام شقية" يذكرونوس الأسرة الصغيرة والجدال فيها، فيها رجل شاب مستأجر. الزوجة "ماري" ليس لديها أي ولد ولهذا تدعو ذلك الشاب إبنالها. وأنها تعامل معه معاملة الإبن. ولكن زوجها "فارس" يخاف عن علاقتهما أي العلاقة بين الزوجة وبين الشاب المستأجر لكونه شابا للغاية واشتراكه في الوراثة والثروة. والحقيقة في تلك الأسرة أن الزوجة تعمل على الماكينة في بيتها طول الليل والنهار للحصول على الخبر لأسرتها. وزوجها لا يعمل البتة أية مشغلة بل أنه يقضي أيامه في التدخين والتهديب واللغو، كما نرى الزوج يطلب الفلوس من زوجته كل يوم بدون أي خجل وتردد لنفسه ولتمتعه: "أنا أكسّر ظهري وراء هذه الماكينة، وأنت تقش الذباب وتقول هات فلوس، خذ[78]. " مثل ذلك هناك حكاية أخرى في جواره حيث هناك تعيش امرأة "غادة" وزوجها "كاظم" وكاظم يعمل في الشرطة ويقضي أكثر أوقاته وأيامه في خارج البيت في مكتبه. وامرأته تنتظر زوجها ليلا ونهارا ولما أنها لا تجد زوجها عند حاجتها تود زيارة الطالب المستأجر الذي يسكن في بيت جوارها. حتى تزدهر علاقتها مع الطالب الشاب "عبد الناصر" تظهر عن حبها مع الله عند بكل شجاعة: "إني أحب عبد الناصر. . . ويجيبها كاظم: إي، سألعن أجدادك على أجداد عبد الناصر، سأكسر رأسك، وأعجنك بدمك (يمسكها من شعرها) أتتحدين مبادئي ؟! أتريدين خراب بيتي ! خذي إذا. . . الله سأشفيك من هذا العناد (يزداد بالضرب والركل) أنت مع كاظم الذي لا يحب أن يسمع إلا لكمة حاضر[79]. "

---

[77]سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 246

[78] نفس المصدر ص 271

[79]نفس المصدر ص 264 .

هكذا تصور هذه المسرحية حالة المرأة والزوجة في داخل البيت والأسرة. والزوج لا يهتم بكسب الأموال في الخارج. بل يحب المكوث في داخل البيت ويصدر الحكم على زوجته. وكذلك للمرأة بيتها ليس كل شيئ، بل أنها تحتاج إلى زوجها وحبه والحب أحب الأشياء لأي زوجة ولما لا يرغب الرجل في اكتساب الفلوس ولايقصد الخروج للأعمال. وكذلك لا تجد المرأة حب الزوج في قلبه ووقته في حياته ففي هذه الحالة تفسد العلاقة بينهما وتنقلب العلاقة الجيدة إلى العداوة القاتلة وتصير الحياة إلى الممات. وتقول ماري: "إني احتفظ بها منذ عشرين سنة. . . . ضيعت عمري كان لا صنعة. . . وكان يدفعني إلى حياة كلها وحل وأقذار وأكاذيب"[80].

ومسرحية "أيام مخمورة" تدور بين حب المرأة العجوزة "سناء" التي تفر من بيتها إلى عاشقها "الحبيب" في عمرها الأخير، تاركة أربعة أولاد في بيتها وزوجها حيث تقول سناء لابنتها وقت الخروج: "لا أعرف كيف حدث ذلك لعلي كنت أنتظره منذ كنت في سنك. . . . أو لعله كان شوقا ظل يتخمر ويكبر، حتى انفجر في داخلي، وأفقدني صوابي. . . أرجوك ألا تكوني قاسية. وحاولي أن تفهميني. قاومت كثيرا وعاندت نفسي طويلا ولكن لم استطع. كان ذلك أقوى مني، كان كالمرض الخفي، ينمو داخلي، وفي غفلة نمي . أعرف أن هذا كله لن يبررني في عينك. ولكن ماذا أفعل ؟ تلك هي الحقيقة، إني أحب رجلا، فأريد أن أعيش معه"[81].

---

[80] سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996ص 298

[81] سعد الله ونوس، الأيام المخمورة، ص 51 و 52

الباب الثالث:

قضية الفلسطين في المسرحيات العربية

الفصل الأول: عناصر المقاومة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس

الفصل الثاني: تصوير المعاناة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس

التمهيد

سعد الله ونوس كاتب حساس ومحب للعالم العربي، يعد البلدان العربية جزء من ذاته، يحزن علي مشكلة البسطاء والفقراء في المجتمع العربي ويقلقعلي بطالة الشباب العرب، ويبكي على ظلم السلطة على رعيتها. ويتململ تململ السليم علي قهر إسرائيل على الفلسطينيين الأبرياء.

يصور سعدالله ونوس وضع المجتمع العربي في داخل البلاد العربية وعلاقتها السئية بين الحاكم والمحكوم والظلم على المحكومين البسطاء. وكذلك يوضح الكاتب مقاومة الفلسطينيين ومعاناتهم المستمرة حيث قهر إسرائيل يزداد يوما بعد يوم. والعالم يشاهد ظلم إسرائيل على الفلسطينيين ليلا ونهارا، ولكنه صامت ولا يفعل شيئا لمنع عدزان إسرائيل على فلسطين واستباحة دماء الفلسطينيين الأبرياء، لا يزال العالم يتغاض عن العلميات الوحشية والبربرية التي ترتكبها اسرائيل بحق الفلسطينيين على مرآى ومسمح من العالم، ولا تزال حقوق الفلسطينيين المشروعة مهضومة و محرومة علي آيدي قوات الاحتلال الإسرائيلية، ولكن العالم وخاصة العالم العربي لا يفعل شيئا إلا إطلاق تصريحات فارغة لا طائل منها، وحتي القرن العشرين ليس هناك شعب مظلوم علي وجه الأرض مثل الفلسطينيين، ولا شك أن هذه المعاناة

الشديدة للفلسطينيين لا بد أن تؤلم الأدباء والكتاب الذين يملكون بطبيعة الحال قلبا حساسا، وكاتبنا سعد الله ونوس هو أحد الكتاب العرب البارزين الذين صوروا في كتابتهم معاناة الفلسطينيين الشديدة لإيقاظ الضمير الإنساني ولتأمين حقوقهم المشروعة في دولة مستقلة وسائدة، وفي هذا الباب سيحلل الباحث ما كتبه سعد الله ونوس في مسرحياته من قضية فلسطين.

الفصل الأول:

عناصر المقاومة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس

كتب الكاتب السوري الكبير المسرحية الشهيرة "حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران" بعد هزيمة العرب علي أيدي إسرائيل سنة 1967م حينما كان يدرس في فرنسا، وقعت الهزيمة المريرة التي أثرت على عقل الكاتب تأثيرا بالغا. كما يظهر في هذه المسرحية، رجع الكاتب إلى بلاده سوريا وأحس بألم الهزيمة التي اشتهرت بالنكسة لما كان لها من دمار شامل للعرب أجمع، مما هزهزة عنيفة و فقد الوعي لأيام.

هذه المسرحية تدور حول النكسة. وتصورها بطريقة لم يصورها أي مسرحي عربي حتى الآنيقوم ونوس بالهجوم العنيف ولمباشر على الحكومة الدكتاتورية الفاشلة. حيث يرى سعد الله ونوس أن هذه الهزيمة ليست الهزيمة العسكرية فقط، بل أنها نتيجة طبيعية لقوة الاحتقار والفساد في داخل البلاد، التى خربتكل شيئ و أدت إلي دمار شامل. و هذه الهزيمة في الحقيقة هي انعكاس مباشر للهزيمة الداخليةللمواطنين الذين لا يزالون مظلومين تحت نظام دكتاتوري، والهزيمة الداخلية عند الكاتب هي الفقر المدقع والفساد في نظام الحكومةالفقراء والبسطاء يوما بعد يوم. وكل هذه الصفات الرذيلة يذكرها الكاتب في مسرحيته الآخرى "بائع الدبس الفقير". وهذه الهزيمة كما يراها الكاتب في الحقيقة هي هزيمة النظام الدكتاتورية في العالم العربي جميعا ولو حدثت الحرب في بعض البلاد من العرب. وكذلك في ظن الكاتب تظهر أهمية مصطلح

"تسئييس الشعبي" من خلال مسرح التسئييس الذي يحث الناس على استعادة الحقوق، تلك الحقوق الأساسية التي غُصبت من الناس بقبضة حديدية.

في البداية كان الكاتب غير قادر علي التجاوب للهزيمة بسبب همومه، وكانت هناك تساؤلا تكثيرة تتردد في ذهنه عن نظام الحكومة الفاشلة ومشاكل البسطاء، وقلة وعي الناس بأنظمة الحكومة الدكتاتورية. كما قال بعد الهزيمة، بأنه صار رجلا مهزوما وتعجب على كتابة المسرحية، لماذا يكتب ولمن يكتب. . . وهذه التساؤلات كانت تدور في ذهنه كأنه تؤلمه كثيرا، على أية حال كان الكاتب حزينا للغاية ولكن حينما رجع إلى باريس بعد شهور نفس السنة بعد الهزيمةوجد في جو باريس(Paris) حيوية الفكرة والانتفاضة التي ألهمته وحفزته علي بدء الكتابة مرة أخرى بقوة جديدة. وبالتالي كتب المسرحية من نوع جديدكانت الهزيمة المرة إلى هذه الغاية التي أنجبت الوعي الجديد، في الحقيقة اتخذ الكاتب في هذه المسرحية الأسلوب الجريئ الذي يتحدى الأنظمة الدكتاتورية في سوريا والعالم العربي أجمع، ومن خلال هذه المسرحية حاول الكاتب أن يكشف ما تغلغل في السياسة من الفساد والتدهر. وفي عام 1997م كتب عن سبب كتابة المسرحية وعن أهميتها وغايتها، "إننا ندعو مسرحا لأننا نريد تغيير وتطور عقلية، وتعميق وعي جماعي بالمسير التاريخي لنا جميعا[82]. " الكاتب يحث الناس على حرية اللسان والبيان والكلام، كما أنه يرى أنه يجب علينا أن نعطي الناس حريتهم في الكلام وفي كشف المشاكل لكي يعرفوا كيف يصير الصوت متينا وهتافا لأجل تحسين الحياة الإنسانية.

المقاومة: هذه المسرحية تدور حول المقاومة الفلسطينية ومقاومة الدول الأخرى التي انهزمت في حرب 5 حزيران 1967م، وهذه مسرحياته الأولى التي تعالج موضوعا جديدا بطريقة جديدة.

---

[82] سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد 2، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 ص25

لأجل ذلك نالت هذه المسرحية شهرة عظيمة في العالم العربي. وما يميز هذه المسرحية هو أن ونوس جعل خشبة المسرحية خشبة التعبير عن المشكلات العديدة في الحياة الإنسانية، بحيث الممثلون يعرضون مسؤولياتهم على الخشبة ولكن المتفرجين والجالسين أمام خشبة المسرحية يشتركون في هذه المسرحية مباشرة. فهذا الأسلوب الجديد في المسرحية العربية نرى واضحا في كتابة سعد الله ونوس عموما، وفي مسرحية" حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران" خصوصا. يوجد في المسرحية قليل منالممثلين ولكنهم يتكلمون مع المتفرجين والمشاهدين أمام الخشبة. وأنهم يردون ويجيبون على الممثلين على الخشبة. فالمتفرج العام يشارك في المسرحية وهكذا يجعل الكاتب مسرحيته مسرحية تفاعلية. يكتب ونوس هذه المسرحية "حفلة سمر" في حوالي 148 صفحة بدون أي فصل وتوقف، يتغير فيها أسلوبه وطريقة كتابته. وهذا ما تمتاز به هذه المسرحية. وهذا الأسلوب المتسلسل يدل على شدة تألمه على هزيمة العرب وفقدان قوتهم، فتدور هذه المسرحية من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة بين مقاومة الناس في دولة فلسطين، أنه يذكر وضوحا بمقاومة الطفل والذكر والأنثى والمدرس والطالب والفلاح والخباز وغيرهم. والكاتب يعري الحكومة من خلال هذه المسرحية ويكشف عن وجهها الحقيقي. ويكشف أيضا عن سياساتها البغيضة، ويشير المسرحي ونوس إلى أنه كيف تجعل الحكومة الناس مقطوعي اللسان ومغلقي الأذن ومسدودي اليد ومقفولي العقل لأجل مصلحة الوطن، كل رجل له لسان ولكنه لا يستطيع أن يتفوهبأي لفظ ضد الحكومة. وله أذن ولكنه لا يستطيع أن يجتمع مع الناس ويسمع عن تغيير النظام الفاسد. وله يد ولكنه لا يستطيع أن يحركها لإزالة الفساد. وله عقل ولكنه لا يستطيع أن يفكر عن تحسين المجتمع. وإن حاول فسوفيلقي في السجن، يؤكد الكاتب على المقاومة الأساسية التي يجب أن يتبناها الإنسان لأن يعيش حياته بالفرح والسرور ويعبر عما في ضميره وقلبه بكل الحرية أمام المجتمع والحكومة، ويبين مشكلته أمام القاضي والمنصف بأنه لا ينبغي أنيحقر أحد الآخر بسبب الفقر والنسب، وينبه المواطن إلي وضع

البلاد ويدرب الفلاح علي حفظ الأرض من الأعداء بآلتهم المخصوصة للزراعة، وعند الكاتب السوري تبدأ المقاومة من نفس الإنسان. فاولا يجب على الرجل أن يسأل نفسه ويتيقن على ذاته وقدرته ثم يحاول أن يقاوم الأعداء والمخالفين. فإن لم يستطع أحد أن يفهم من هو، وما هو أصله، وما هي قدرته، وما هي غايته في هذه الدنيا، وما هي مسؤولياته في حياته. فإنه لا شيئ إلا حمل على الأرض وثقل على الناس، لأنه لا يستطيع أن يدرك مفهوم المقاومة في حياته. ولا يستطيع أن يفهم مسؤولياته في هذه الدنيا كما يشير الكاتب في بداية مسرحيته الشهيرة " حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران" وبعد أن شنت إسرائيل الحرب على العرب "فإنه قد يكشف بجلاء أكثر حاجتنا لأن نرى أنفسنا، لأن نتطلع في مرايانا لأن نتسائل: من نحن، ولماذا ؟ [83]" هذه المسرحية "حفلة سمر. . " أثارت ضجة كبيرة في الحكومة الفاشلة العربية عموما وفي حكومة سوريا خصوصا. حيث أن الحكومة السورية تحُظر عرضها وبيع نصها وطبعها. وفازت هذه المسرحية بالجائزة العظيمة من جانب اليونسكو. وهذه الجائزة الدولية توقع ضربة شديدة على الحكومة السورية. وتفتح بلاد لبنان بابها لهذه المسرحية الشهيرة وتستقبلها مجلة "المواقف" لنشرها. وهكذا تثبت قوة المسرحية وتفوز في مرامها ويخاب العقل الضيق، وتخسر الحكومة الجبانة. فالمسرحية "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" تعالج أساسا موضوع المقاومة. والمفهوم هنا من المقاومة الأساسية هي المقاومة التي تبدأ من الحياة الإنسانية من نفسها فالإنسان يجهز عينه وأذنه ولسانه ويده وعقله وفكره حتى جسمه كله للمقاومة. لأن المقاومة تعتمد مائة في المائة على الإنسانية. والإنسانية لا تكون متينة وجاهزة من كل ناحية. نحن لا نستطيع أن نحسب عن نتائج المقاومة الإيجابية. وكيف هذا يمكن إن لا يوافق العقل باليد، أو لا توافق اليد بالهدف، فالموافقة ضرورية بين أعضاء الجسم الإنساني. هذه النقاط المهمة الأساسية التي أشار إليها الكاتب السوري من خلال هذه المسرحية القيمة، لكي يفهم كل واحد

[83] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 5

في المجتمع، سواء أكان طالبا أو مدرسا أو خبازا أو خياطا أو حاكما أو محكوما أو عاملا يجب على الجميع أن يفهم مفهوم المقاومة ونوعيتها وميزاتها. وبعد ذلك نستطيع أن نقابل الأعداء ونكافحهم في حياتنا. هذه المسرحية منفردة للغاية في بيانها وسردها وعرضها حيث نرى في داخل هذه المسرحية، مسرحية أخرى أي مسرحية في داخل المسرحية. وهكذا أن الكاتب عبد الغني يكتب المسرحية الداخلية ويقدمها على خشبة المسرح في الصالة مع مخرج المسرحية، وممثلوا هذه المسرحية ليسوا موجودين على الخشبة فقط بل بعض الممثلين موجودون بين المتفرجين والمشاهدين. اختارهذه الطريقة المنفردة لكي يتفاعل المشاركون مع الممثلين في المسرحية. ولكي يظن المتفرجون عن الممثلين أنهم من بينهم، وبالرغم من أنهم من المشاهدين ولكن يجرءون على فتح أفواههم وبيان مشاكلهم. وإظهار ما في قلوبهم من الأفكار والشكاوى. يظهر الكاتب أن العرب نائمون. فلا هم ولا فكر عن قضية فلسطين. ولأجل ذلك كتب الكاتب مسرحية أخرىأيقظ بها العرب بها باسم "المقهى الزجاجي"، أوضح فيها عن فساد الحكومة وبطالة الناس وغفلتهم عن أعمالهم ومسؤولياتهم في حياتهم. وبين كيف يقضي الشبان حياتهم في المقهى على الشأي واللعبة، حاول الكاتب في بداية هذه المسرحية أن يبين الخطوات التيتستطيع أن توقظ المواطنين به عن الغفلة. نبههم علي أحوالهم السيئة. وأثارهم على رفع الصوت وتقديم الشكاوى في قاعة المسرحية . ولأجل ذلك سلطان المسرحية خطط لأن تبدأ المسرحية متأخرة من الوقت المحدد، ولما لا تبدأ المسرحية في وقتها المعين يجعل المتفرجون يتذمرون والمشاهدون يتحدثون مع الآخر ويطلق الصفير ينطلق بينهم حتى تملأ القاعة بالضوضاء وتتناثر عبارات وجمل مختلفة وتعليقات عديدة في شكل انتهاكات وشكاوى. وهذا هو الهدف الرئيسي عند الكاتب أن يفتح المتفرج فمه ويعبر عمايجول في داخله ويتكلم عن المشكلة: "كان من المفروض أن تبدأ الحفلة في الثامنة والنصف، يمكن تغيير الوقت بحسب برنامج المسرح يقدمها، وها أن الوقت يمر دون أن يظهر أي ممثل على الخشبة، دون

أي إشارة تؤذن بالبداية. لقد بدأ المتخرجون يتذمرون. . . ينطلق الصفير من المقاعد الخلفية. . . وتتناثر عبارات مختلفة. . . . ما هذا ؟ لسنا عبيد آباءكم، يا للمهزلة ! أ هو فندق أم مسرح !. . . . إيه. . . . لم نأت كي ننام[84]. "

هذه الضجة والصفرات بعد الصفرات والتعليقات بعد التعليقات والغضب بين المتفرجين والمشاهدين، كلها محبوبة عند الكاتب وفي ظنه جميع هذه النشاطات هي بداية للمقاومة وبذور لها وقوتها. ولها أهمية كبرى في حياة الإنسان. والكاتب هناك يريد أن يشير إلى سكوت الناس وغفلتهم عن مسؤولياتهم وعن أحوالهم السيئة. فإن العرب خائفون من الأعداء من الصهاينة والخائفون من المقابلة مع إسرائيل. ولكن لا يخافون عن حياة الذلة والمسكنة. ولا يفزعون عن فقدان وجودهم في بلادهم، ولا يخافون أنهم يقتلون في داخل بلادهم وبيوتهم. وهذا الخطأ يتسبب في تضييق الخناق عليهم وإظلام مستقبلهم: "الخوف نشيج بلاد لا نعرفها. . . . ومن الأيام تتناسل الأيام. . . . تفيض دماء الميتة. . . تتحلل أجساد موتى. . . . يأتي الجوع. . . . يأتي الطاعون. . . يأتي فساد بعد فساد. . . لكن الخوف نشيج بلاد لا نعرفها"[85].

يبين الكاتب الكبير وضع العرب عند هجوم إسرائيل عليهم سنة 1967م . الوضع الذي يدل على أن العرب رجالا ونساء من جميع نواحي الحياة من جميع المستويات خائفون. خائفون من الصهانية، الحكومة لا تقدر علي الدفاع عن نفسها لأنها لم تتسلح بأسلحةالحديثة. فشلت الحكومة في جعل واعينبالهجوم الاسرائيلي. حتى يستطيع أن يستعد كل واحد من المواطنين لمكافحة الأعداء ولو ذهنيا على الأقل. وإذا كان الفلاحلا يعرف شيئا عن الأعداء وهجومهم عليه يسهل على الأعداء انتزاع أراضيه واغتصاب بيوته بالسهولة، وهذا ما حدث في الحرب. امتلئت نفوس العرب وأذهانهم بالخوف. فاستطاعت إسرائيل أنتحتل كثيرا من الأماكن

---

[84]سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 5

[85]نفس المصدر ص10

من أراضي العرب: منها قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء في مصر، والضفة الغربية والقدس الشرقية وهضبة الجولان وغيرها.

استشهد عدد كبير من العرب من مصر وسوريا والأردن في هذه الحرب. وليعلم أن هذا الهجوم الإسرائيلي ليس هجوما على حياة الناس وأراضيهم فقط، بل هو عبارة عن قتل جماعي للعرب قتل فيه الأطفال و النساء والعجائز ودمرت فيها البيوت والحقول والمزارع وسعت القوات الصهونية إلي ضربة شديدة علي الكيان الذي حتى لا يستطيع العرب النهوض مرة أخرى ضد الصهانية. وهذا واضح أن الحكومة العربية ما كانت مستعدة للحرب، وكذلك لم يعدوا العسكر والقوة المطلوبة للحرب مع العدو الصهيوني. وهكذا فشلت الحكومة في أداء مسؤولياتها وواجباتها من جميع النواحي. والدليل على ذلك أن المواطنين قضوا حياتهم في حالة الفقر المدقع، فلا عمل عندهم ولا شغل، فكانوا يطوفون في المقهى صباحا ومساءا. وأعضاء السلطةكانوا يعيشون حياة ممتعة ورغيدة ولم يكن يهمهمأبدا التقوية العسكرية لمكافحة العدو. ولا شك في أن العرب جميعهم يبكون علي حالتهم الرذيلة، ويدمعون على أحوالهم السئيةلأنه ليست لهم القوة لأن يقاوموا الأعداء، وليست لهم حماسةلأن يقابلوهم، وليست لهم جرأة عليمكافحة الإسرائيلية بالمتسلحة معاصرة ومجربة بكل تجربة حربية. ومهما كانت الظروف، فإن جنود العرب قاوموا حسب طاقتهم وكافحوا بكل قوة. وشارك في هذه المقاومة الأطفال والرجال والنساء وغيرهم من الأطباء والأدباء. وفي مدة قصيرة أي في حوالي ستة أيام ظهرت أخطر النتائج لهذه الحرب التي أدهشت العرب وهزت عزيمتهم وشتت شملهم وكسرتظهرهم وهمتهم وجعلتحياتهم كحياة الثعلب الذي لا يهتم بالشيء ولا يبالي بمسؤوليته وحياته وعزته إلا ذيله. والعرب أغنى القوم في أنحاء العالم. ولكنهم لا يلتفتون إلى دولة قصيرة مظلومة دولة فلسطين: ثم يتحدث عن انفجار عنيف، يدوي صفارة الإنذار، هدير طائرات يحلق ويعلن

المذيع. . . اندلعت الحرب أثر الهجوم الغادر الذي شنه العدو أراضينا الجنوبية ففي الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين. . . . أنها حرب كان الله في عوننا. . . حقا أنها الحرب[86]. "

ومن غفلة مواطني العرب تنفجر القنبلات عليهم وتمطر الدبابات بينهم. ولكنهممازالوا حتى الآن في السكوت والنوم. وهذه هي الغفلة التي تؤديهم إلى أسوأ الحياة. والكاتب يذكر هناك حالة طفل صغير يفزع بصوت الانفجارات، ويجري من هنا إلى هناك ويبحث عن مكان سليم لكي يحفظ نفسه من الأعداء ومن الصوت المخيف:" إنه لا يعرف أين يذهب، يسير تدوي بعيدا انفجارات أخرى، ترج أصوات الطائرات، كل شيئ حوله، ينظر إلى السماء وينفجر باكيا، أن أحدا وسط الفوضى لا ينتبه إليه، كلما انفجر صوت جديد وضع يده على رأسه وجرى صارخا دون أن يعرف إلى أين. . . . أترى. . . . [87]". هذه المسرحية الكاملة تدرب المشاهدين والمتفرجين علي فتح ألسنتهم ورفع أصواتهم عند المصائب والمشكلات وعند مكافحة حياتهم ومقاومة أراضيهم بكل أسلوب جيد. فمن خلال هذه المسرحية نرى العديد من الرجال يردون الآخرين ويعبرون عما في نفوسهم. حيث واحد منهم يقول في قاعة المسرحية: "أتركوني. . . بستاني يحترق. . . بستاني يحترق. . . آه بستاني ماذا بقي. . . ماذا بقي، كذلك من يقول: سمعت دوي وطلقات الرصات وما لم اعتقد أن ذلك خطير، قلت أسرع في عملي، ثم أعود إلى بيتي، ولكن الطائرات. . . حلمك يا رب. . . . . رأيتها فوق رأسي تخطف الجو. . . كالطيور السوداء الغاضبة تخطف الجو ارتجفت الأرض الأقدام فليرحمنا الله. من يجرأ على البقاء بعد ذلك. النار. . . . بعيني رأيتها تلتهم كل شيئ، الأخضر واليابس[88]. " كتب سعد الله ونوس السوري هذه المسرحية حول قضية فلسطين. فمن بدايةالمسرحية إلي نهاية حاول الكاتب أن يعطي فرصة التحدث وإظهار الشكاوى للمشاهدين و المتفرجين . وفي وسط المسرحية

---

[86] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 24-25

[87] نفس المصدر ص25

[88] نفس المصدر ص43

يشير ونوس إلى رجال مختلفين يعبرون عما في قلوبهم من وقائع فلسطين وحربها ومقاومتها حيث يقول من يقول: "سنذيقهم الموت قبل أن يدخلوا ساحتنا. . . . لا تسرعوا في اتخاذ القرارات. . . بكل ما أستطيع أن أقاتل به بالفأس، بالعصا، بيدي. سنعلمهم كيف يكون الرجال. . . ومن قال هناك فرق بين الشجاعة والتهور أريد مقاومة المدفع بالعصا. . [89]. " ومن خلال هذه المسرحية، يذكر الكاتب كثيرا من حوادث الحرب المخوفة والمريرة لكي يعرف المتفرجون والمشاهدون كيف تحكي المصائب، ويعبر عن المشكلات، وكيف يرفع الصوت ضد الظلم والاستبداد. ويسلك هذا الطريق كما يقول رجل: "ذبحت امرأتي يا عبد الله. . . الرجل الآخر: ذبحت ابنتي الصبيتين يا عبد الله. . . والرجل الثالث: ذبحت أهلي يا عبد الله. . . . أصوات. . . الحدائق. . . . الجرحة. . . ما الذي سيحل بنا. . . ؟ أي ذنب عظيم[90]. " ومن خلال المسرحية يشيير الكاتب إلى تمرين جنود إسرائيل ونشاطاتهم وسرعتهم في الهجوم. فإنهم مسلحون بأصلحة الجديدة ومتمرنون علي التمرينات العسكرية الحديثة. كأنهم يطيرون في الهواء ويهجمون على العرب مثل الأبابيل. وكانت قنابلهم مثل المطر الغدير:" إن لعساكر العدو أجنحة وأنهم يطيرون كالهداهد أو الدرغل. . . أو جنود العدو ليسوا بشرا بل آلات هي حديد، آلات تمشي وتتكلم رصاصها لا يخطأ[91]. " يوضح الكاتب وضع الكيفية الداخلية في العرب، أن السلطة وأعوانها لا يهتمون برعاية المواطنين عامة والسلطة ليس لها علاقة المودة والمواخاة مع أبناء بلادها والمحكومين. وظلم الحاكم على المحكومين عادي وهيبة الأمراء على الفقراء واضحة وكراهة السلطة في العلاقة مع المحكومين معروفة في العرب. وهذه هي حالة علاقة الحاكم مع المحكومين التي ذكرها الكاتب من خلال بعض مسرحياته، مثل "الملك هو الملك" والفيل يا ملك الزمان" والجثة على الرصيف" وغيرها. وفي مسرجية "حفلة سمر من أجل ٥

---

[89] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص47

[90] نفس المصدر ص60

[91] نفس المصدر ص 85

حزيران" يشير الكاتب إلى غفلة الحكومة عن السياسة والعلاقة مع الدول الأخرى وقلة المهارة في الجرب وأصولها. نري في هذه المسرحية أن الولد هو يشكوعن غفلة رجال السلطة "وكيف نعلم؟ لا أحد يكلمنا. لا أحد يجيبنا. والأسئلة تتجمع كالشوك على ألسنتنا". . . . ويقول الأخر: "منذ ذلك اليوم، وعيوننا معصومة. لانري شيئا, ولانعرف شيئا. . . أينما توجهنا تستقبلنا الألسنة الغاصبة، والوجوه العابسة"[92].

يدخل الكاتب في عمق كيفية علاقة العرب بين الحكومة والرعية ويكشفها تماماأن عامة الناس يساعدون اللصوص ويحمونهم والسارق ههنا رمز للذي يسرق مال الآخر أو يخطتف فرصة الآخر أو يحرم الآخر عن حقوقه، وهذه هي كانت الحالة في الدول العربية، وكيف هذا يمكن أن يتوقع عن العلاقة الجيدة بين السارق وبين الذي سرق منه، ولما ليست العلاقة جيدة فكيف يتفكر أحد عن الحفاظ على الآخر ومساعدته، وهكذا هنا هذا محال أن توجد المقاومة:من سرق بيته فليبحث عن بيته. . . من يمنعني من البحث عن بيتي فهو مع اللص . . . لنفتح عيوننا. . . فاللصوص كثير عددهم وحماة اللوص اكثر عددا من اللصوص"[93]. وفي نهاية مسرحية "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" نري فيها أن الكاتب سعد الله ونوس يفوز في هدفه النبيل حيث أنه يطلب من المتفرجين والمشاهدين من خلال هذه المسرحية أن يفهموا أهمية الشكوي ورفع الصوت ضد الظلم والاستبداد، كما نربفي هذه المسرحية بأن المتفرجين جعلوا يرفعون الصوت بسببالتأخير في بدء عرض المسرحية ولكن طفق الممثلون الآخرون الذين يجلسون بين المتفرجين أنهم يشاركون في الشكوى حتي جعل المشاهدون

---

[92] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص90

[93] نفس المصدر ص 97

يرفعون أصواتهم ويناقشون مشاكلهم بينهم وهكذا يزداد الضوضاء في القاعة وتملئها بالشكوي والتعليقات:إلى آين؟ إلى آين؟ هل أصبح المسرح ساحة عامة؟ هل نسيتم أين توجدون ؟ [94].

ثم يشير الكاتب إلى خدعة الحكومة والسلطنة مع رعيتها حيث نرى في هذه المسرحية أن الناس يرفعون أصواتهم ضد ظلم الحكومة واستبدادها، ولكن الحكومة تأتي بالفور بقضية أخرى لكي تشغل الناس في القضية الجديدة وتنسي القضية القديمة والمشكلة القديمة، وهكذا نرى في هذه المسرحية المخرج يأمر للموسيقىعلى الخشبة بين تعليقات الناس لأجل تحويل انتباه الناس من مصائب الرعية وأصواتهم، وكذلك لأن يفرح رجال السلطة الذين كانوا يجلسون في الصف الأول في القاعة لمشاهة المسرحية:بعد قليل تنتظم الآلات، وتصخب في نغم شعبي للدبكة، تشرع الفرقة في الرقص، طبعا وجود الآخرين يحصر حركتها"[95] فبعض من المتفرجين والمشاهدين جعلوا يتمتعون بالموسيقى ولكن بعضهم لا يزالون يرفعون أصواتهم ضد استبداد الحكومة الظالمة وهذه المخالفة في القاعة أدت إلى جدال شفوي بينهم، حيث يقف أحد من المتفرجين من كرسيه ويقول بصوته العالي غاضباغضبا شديدا:ونحن . . . هل تحسبنا دمي بين آصابعك؟ تحشرنا في صالة ضيقة، تغلق الأبواب تسد النوافذ، تطفئ الأضواء ثم تجبرنا على أن نشاهد آوهامك و تفاهات خيالك. . . لكل شي حدود . . . نعم لكل شي حدود"[96].

وهكذا اشتدت الأصوات، الأصوات المختلفة بين الممثلين والمتفرجين ومن أصواتهم جعل الناس يقولون: لكل واحد منها له مسؤليات وكل واحد منا هو مسئول، فلا يناسب لأحد

---

[94] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص100

[95] نفس المصدر ص101

[96] نفس المصدر ص103

أن يبتعد عن مسئولياته في حياته، أني مسئوول وإنك مسئوول. كأننا مسئولين. مامن أحد يستطيع أن يجد هذه المرة مخبأ من المسئولية"[97].

ثم يسلط الكاتب الضوء على أهمية أعضاء الجسم ومكانتها في حياة الإنسان. ومن هذه الأعضاء المهمة: اللسان والعقل والأذن والعين وغيرها. والعرب على الأغلب محرومون من استخدام هذه الأعضاء لأجل مصلحة الوطن. فلديهم ألسنة، ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا حسب إرادتهم. ولديهم عقول، ولكنهم لا يستطيعون أن يتفكروا حسب عقولهم. ولديهم آذان ولكنهم لا يستطيعون أن يسمعووا العدل حسب إرادتهم. ولديهم عيون ولكنهم لا يستطيعون أن يروا أنظمة الحكومة الضالة من عيونهم. فإنهم مضطرون إلى أن يتبعوا أوامر حكومتهم. ومثالهم حيث قال الله عزوجل "صم بكم عمي فهم لا يرجعون[98]" لأنهم يعرفون عن استبداد الحكومة وعقابها. وإن لم يوافق أحد الحكومة فجزاه الموت. وإن يجرؤ أحد أن يسئل الحكومة عن حقوقه، فجزاءه السجن الضيق، لا تصل إليه أشعة الشمس، ولا تمر منه الهواء النقي. وحياة السجن أسوأ من الموت. ولذلك نري ألسنة المحكومين مقفولة، وعقولهم مقبوضة، وأياديهم مسدودة، وعيونهم مغلقة. " لا تنسي أن للمصلحة الوطنية سجونا لا تنفذ إليها الشمس ولو مرة واحدة في العام. . . اذن نحن ملائين من الألسنة المقطوعة تتراكم خلف أبواب مغلقة، في أفواه مغلقة، في مراحيض مغلقة[99]"

علينا أن نفهم الأمر الذي أشار إليه المسرحي سعد الله ونوس، أن المقاومة لا تقوم إلا بحرية اللسان والعقل والعين والأذن. فهذه أعضاء الجسم التي تكمل الإنسان حسا ووعيا. يجب أن تكون حرة، ولما يحرم أي شخص من استخدام هذه الأعضاء المهمة، كيف نتوقع منه أن

---

[97] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشروالتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص112

[98] القرآنالمجيد، صورة البقرةآية 18

[99] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشروالتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 116

يقاوم الأعداء. فالحرية أساس للمقاومة. وكما نري في هذه المسرحية أن كثيرا من المتفرجين بدأوا يفهمون أهمية لسانهم وعقولهم وعيونهم ورفع أصواتهم ضد الحكومات الظالمة والأنظمة الفاسدة وأخذوا يطالبون بحقوقهم من كل جانب من جوانب القاعة. حتي يفزع رجال الحكومة الذين يجلسون في الصف الأول من المتفرجين وجعلوا يصرخون على شكاوى الحكومة. كما أنه يأمر بصوت مرتفع ومرتعشة "كفوا جميعا. توقفوا، فليتوقف كل هذه، أفتحسبون إذن أن النظام انتهى، وإن البلاد أصبحت فوضى؟؟ . . . أين هذا الكاتب الدجال ؟ اقبضوا عليه . . . اقبضوا على جميع العناصر المشركة في هذه المؤمرة الزنيمة"[100].

وفي نهاية المسرحية، يشير الكاتب السوري إلى النقطة المهمة. وهي ضرورة المقاومة لكل مواطن البلاد، لكل الناس: سواء أنه طالب أو طابع، سواء أنه طباخ أو خياط، وسواء أنه ملاح أو فلاح، وهلم جرا. . . لأن حفظ الأرض ضروري لكل ساكن من سكان الوطن ومهما تكن مهنته، كل واحد يستطيع أن يحفظ نفسه ومسقط رأسه حسب استطاعته وأنه مسؤول عنه. حيث نري في هذه المسرحية العدد من سكان البلاد من المهن المختلفة يرفعون أصواتهم ويقولون عن مهنهم وعن قدرتهم في المقاومة لحفظ بيتهم وطنهم من أعداء فلسطين " أراد الخبازون أن يحشوا خبزهم قنابل، ويطعموا للغزاة . . . أراد الحدادون أن يذوبوا معادنهم ويغرسوها مسامير تحت أقدام العدو. . . النساء اردن رصاص و قنابل من حليهن[101]".

والمقاومة في مسرحية "اغتصاب" واضحة. كما يكتب الكاتب فيها قصتين لأسرتين. كما ذكرت تلك القصتين مفصلا في الصفحات الماضية. يقتل شابان "اسحاق" و "اسماعيل" في سبيل حفظ عزتهما وأسرتهما وبيتهما وبلادهما في السجن. وتواجه زوجتهما كثيرا من المظالم

---

[100] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص141

[101] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص135

الجسمية والعقلية والاجتماعية وغيرها من المظالم الوحشية لا مثيل لها في تاريخ الحياة الإنسانية.

هكذا كتب الكاتب السوري عن وضع العرب الداخلي وهيئة نظام الحكومة الفاشلة وعن هجوم إسرائيل على العرب والمظالم على العرب ورد العرب على أعدائهم ومقاومتهم لحفظ عزتهم وبيتهم وبلادهم إلى أخر نفسهم.

الفصل الثاني:

تصوير المعاناة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس

"عانى""يعاني""معاناة" أي مقاساة. والمعاناة هي تجربة شخصية يشعرها من يحرم السعادة، والمراد هنا بها في مقالتي هي أنواع من المشاكل والعقوبات التي تفرضها القوات الصهيونية على الفلسطينيين الأبرياء، وكل أنواع من الظلم والقسوة التي لا يزال يعاني منها الفلسطينيون داخل بيوتهم وبلادهم. فإنهم غرباء في مساقط رؤوسهم، وفي هذه الأيام تنوعت معاناة الفلسطينيين بحيث لا تعد ولا تحصى. وفي هذه المقالة القصيرة أنا لا أستطيع أن أبين كل مظالم إسرائيل على الفلسطينيين، لأن مستوى الظلم الإسرائيلي خارج عن الوصف والبيان. إن ظلم إسرائيل على الفلسطيين بالخصوص وعلى العرب عموما لا مثيل له في التاريخ. هي القسوة الصهيونية التي لم تر قط مثلها عين البشر ولم تسمع الآذان مثلها.

وفي هذا البحث الوجيز قد حاولت أن أذكر المعاناة الفلسطينية علي أيدي الصهانية من خلال مسرحيات الكاتب السوري سعد الله ونوس الكاتب الذي برع في تصوير المجتمع خاصة فيما يتعلق بأحوال فلسطين والفلسطينيين.

وفي الحقيقة كتب المسرحي العديد من المسرحيات في اللغة العربية. ومسرحياته تصور القضايا العربية المهمة عامة، وقضية سوريا وفلسطين خاصة. وأهم المضامين التي عالجها في مسرحياته هي الحرية والعدالة الاجتماعية والأمن في المجتمع الإنساني لكي يستطيع كل فرد

من أفراده أن يتنفس في جو الحرية، ويقضي حياته بالعدل، ويعيش حياته من الولادة حتى الموت مع الأمن والسلام. ولهذا الغرض المهم أنه أفنى حياته الكاملة إلى أن وافه الأجل.

ولا شك في أن المعاناة التي يمر بها الفلسطينيون خطيرة للغاية. وهي تؤثر على جميع الكتاب والشعراء في العالم كله، الكل يعلم أن دولة إسرائيل ليس لها أي مبرر لاحتلال دولة فلسطين وأراضيها وقتل أفرادها وتدمير بيوتها، وهي تقوم بكل هذه العمليات الوحشية والبربرية بتأييد و دعم من أمريكا، فيشير الكاتب سعد الله ونوس في إحدي مسرحياته "الاغتصاب" إلىالمدير العسكري الإسرائيلي مائير: "منذ طفولتي علمني والدي الذي قتله الألمان أن اليهود يجب أن يرجعوأ إلى ارض إسرائيل وأن يعيدوا تأسيس مملكتها الكبرى، هذا هو الحق إسرائيل وأن يعيدوا تأسيس مملكتها الكبري هذا هو الحق البسيط الذي يشبه إشراق الشمس ودولة الأيام وكل من يعترض سبيلنا يجب أن نزيله بلا رحمة[102]. "

المعاناة الفلسطينية تزيد يوما بعد يوم إلى أقصى مداها. فإنهم يعانون من كل المشاكل والمصائب في داخل بلادهم. القوات الصهيونية لا تزال تظلم عليهم. والأسف على ذلك أن الزعماء والقائدين من المسلمين والعرب ليست لهم أي حركة. كانت هناك فجوة واسعة بين الرعية والسلطة. يشير الكاتب سعد الله ونوس إلى هذه النقطة المهمة أن سكان فلسطين حوالي سنة 1967م ليس لهم علاقة جيدة بين الناس والحكومة فكلهم في كل واد. وكذالك الإعلام الذي كان يعمل تحت السلطة ويتحرك حسب هدفها الخاص. ولا يهمه مشكلات الناس ومصائبهم. فالكاتب يكتب هذه المسرحية القصيرة المسمى بـ "**فصد الدم**". . . . ومن خلال هذه المسرحية إنه يقدم قصة شابين من فلسطين. ، الواحد اسمه "عَلي" والثاني اسمه "عُلَيّة". الأول أي علي هي رمز إيجابي في القصة من خلال هذه المسرحية. وكذلك عُلية رمز سلبي

[102] سعدالله ونوس، الأعمال الكاملة الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 المجلد 2 ص 159

وهكذا عَلي يمثل نصف سكان فلسطين. وعُلية يمثل كذلك نصف سكان فلسطين. الأول ولد شاب لباسه مقبول ويظهر على خشبة المسرحية بكل هدوء وسكون وبالعكس أنه أيضا ولد شاب ولباسه مقبول ولكنه مدمن على الخمر وهزيل الوجه ويائس القلب جالس عند بيوت مكسورة هدمتها قوة إسرائيل، ولكلاهما أحوال وظروف خاصة، فعَلى يعيش عيشة جيدة وعيشة ممتعة، وأما عُلية فهي مظلومة ومقهورة. ولكن السلطة ورجال الإعلام يهتمون بحال علي كما يود رجل الإعلام من "علي" أن يسأله بعض الأسئلة ويجيبها "علي" لغرض الصحافة وتلك الأسئلة مشتملة على مدح السلطة وأعمالها للرعية وغيرها، ولو السلطة لم تتم تلك الأعمال في الحقيقة، السلطة تريد المدح من الرعية فقط ولا يهتم رجل الإعلام بحالة "علية" ولا يسأله عن حالته السيئة. وهذه هي الصورة الخطيرة كانت عامة في مجتمع فلسطين وكل ذلك ذكرها الكاتب بكل تفصيل في هذه المسرحية، ونادى القوم العربي بحالته السيئة ومسؤوليته العظيمة، وقلة قدرة زعمائه ووحدته وأعماله للمصلحة الوطنية ونشاطاته المفيدة[103].

ولا شك في أن عمل رجل الإعلام يدل على هدف الحكومة السري ويظهر هنا مشكلة فلسطين الخطيرة. وتلك المشكلة ليست نتيجة هجوم إسرائيل فقط بل فيها شراكة زعمائهم العرب من بلادهم. فالرؤساء من قبيلتهم يزيدون مشكلة العرب. فإنهم لا يفكرون في وحدتهم وتحسين حالتهم ونيل حريتهم من قوة إسرائيل ونجاتهم من الاستبداد الصهيوني وتوفير الجو الصافي لشباب فلسطين وأطفالهم. لكي يستطيع أطفال فلسطين أن يحلموا عن المستقبل الزاهر كسكان بلاد الآخر خارج فلسطين أمنا وسلامة. فهذه الصورة تفيد أن الناس في فلسطين يعيشون في أسوء حالة ليعلم أن شخصية "علية" تشير إلى عامة الشبان وذلك حينما بيوتهم ولا يجدوا أية مساعدة من جانب الحكومة فإنهم جعلوا يدمنون في الخمر ويقضون أيامهم وحياتهم في اليأس والحزن وهم لا يجدون فرص القراءة والتعليم والتربية في المدرسة. فمسرحية "الاغتصاب" يذكر

[103] سعدالله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 ص 355

الكاتب فيها حكايتين الأولي حكاية إسرائيل والثانية حكاية فلسطين. من خلال المسرحية نجد صورة معاناةالفلسطينيين بالوضوح للغاية وأن إسرائيل لا تزال تظلم الفلسطينيين في بلادهم. وعداوة إسرائيل ليست مخالفة الفلسطينيين فقط بل هدفها أن تستأصلهم من جذورهم ويجعلوهم نسيا منسيا. ولأجل هذا الغرض يهجم الإسرائيليون عليهم ليلا ونهارا، على أطفالهم ورجالهم ونساءهم وبيوتهم. وهكذا القوة الصهيونية تفسد أحوال الفلسطينيين. وبالنتيجة تتدهور يوما بعد يوم حالا لفلسطينيين الاجتماعية والثقافية والتعليمة والتقنية والاقتصادية وغيرها. يصور الكاتب هذه الصور بأحسن طريقة في المسرحية: إن واقعنا مرعب، موت واعتقالات. . . . بيوت منسوفة وأطفال بلا أمهات أتريدين أن يولد ابنك بلا هوية وبلا أمن ؟!. . . إننا جميعا نعيش وسط الرعب. فكيف نشع بالأمان [104]؟" الكاتب يذكر في هذه المسرحية حكايتين منها حكاية عن أسرة صغيرة في إسرائيل تشمل على أربعة أفراد ولد شاب إسحاق وزوجته راحيل وأبوه وأمه وهذه الأسرة تنتقل إلى أوروبا من فلسطين قبل ولادة إسحاق وقتل أبيه غموض وسر في المقاومة بين إسرائيل وفلسطين وأمه سارة التي كانت مسيحية ولكن بعد موت زوجها غيرت دينها وصارت يهودية وصديقة لمدير عسكر إسرائيل مائير وابنه إسحاق كان يعمل في دفتره العسكر اليهودي وهم يحتفلون بالليل ويتمتعون ببنات فلسطين والنساء المظلومات بينهم حتى يلعبوا بعزتهم في تلك الحفلة بدون أي خجل وتردد ومن الأسف أنهم يجبرون الأخرين من الجنود على أن يقوموا بتلك الحركة الوحشية حيث أجبروا إسحاق على أن يرتكب تلك الخطوة الوحشية الخطيرة الرذيلة، يصور الكاتب في المسرحية هذه المعاناة الفلسطينية بكل وضوح كما تقول زوجة إسحاق عن صديق زوجها"جدعون" الذي اغتصبها: "اغتصبني كما يغتصبون العربيات أثناء عملهم المجيد وحدثها عن حفلاتكم يا إسحاق[105]. " فهذه المكالمة تشير إلى

---

[104] سعدالله ونوس، الأعمال الكاملة الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 المجلد 2 ص 74

[105] نفس المصدر ص 147

معاناة البنات الفلسطينية اللاتي صرن لعبة إسرائيل يظلمون عليهن ويحرمونهن عن حياتهن الحرية والسلامة وكذلك إسحاق مؤظف صالح ، هدفه لا يشبه هدف الصهاينة ولا نشاطاته توافق نشاطاتها ولأجل ذل تظلمه إسرائيل حتى قتله بالمسدس وتخبر أمه وأمه ابتسمت بنبأ قتل ابنها، يا للأسف. وأما الحكاية الأخرى في المسرحية هي حكاية أسرة فلسطين أسرة فقيرة كذلك فيها رجل شاب اسمه إسمعيل وزوجته دلّال وأبوه وأمه والإسرائيليون لا يزال يظلمون الفلسطينين ومنها هذه الأسرة التي تعاني من المظلمة الصهيونية في حياتهم وظلمهم يزداد يوما بعد يوم عليهم وقُتل أبو إسمعيل في طفولته في مقاومة إسرائيل ولما نشأ وشاب اعتقله إسرائيليون وضربوا في السجن لأنه ولد شاب وأنه كان يدعو الناس إلى الوحدة ويحرض الناس على الحصول على المحتلة في فلسطين وكل يوم يعذبونه الإسرائيليون بكل أنواع من التعذيب ومرة أنهم اعتقلوا زوجته دلال واغتصبوها أمام زوجها وهذه هي المعاناة الرذيلة والوحشية كانت توجد في جنود إسرائيل.

ضاقت أرض زوجة إسماعيل بما رحبت، كانت تفكر دائما عن المعاناة الصهيونية، وقد أثرت هذه المعاناة على نفسها وقلبها وجعلتها مغشية ويائسة وحزينة تقول دلال: "الأرض أضيق من القبر إذا لم يزولوا جميعا، إما نحن وإما هم[106]. " وهذه المعاناة ليست مع دلال فقط بل هي عامة في داخل البلاد، يفقد الناس أولادهم وينظرون إلى أطفالهم بعيون مغمومة، يرون الأعداء أنهم يدمرون بيوتهم أمام عيونهم ويغيرون عمرانهم بصحراء المحتلة فليس عندهم من الزعماء الذين يمنعونهم فلا يستطيعون أن يحتفظوا دولة صغيرة فلسطين وللتأكيد على أهمية أرض فلسطين وبيوتهم ويمثل الكاتب أمثال الطائرات والبهائم أي بكل نفس من الأنعام لها بيوتها والطائرات لها بيوتها ولكن ما لهذه الدولة القصيرة أبناءها يموتون ليلا ونهارا لمقاومة بيوتهم

---

[106] سعدالله ونوس، الأعمال الكاملة الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق سوريا 1996 المجلد 2 ص 120

ومعاناتهم لحفظ عفتهم وبيوتهم وعمرانهم ومعاناتهم لحصول المقاومة لا تعد ولا تحصى والتاريخ لا يجرأ أن يسجل معاناتهم وعدد شهدائهم كما تقول شخصية في داخل هذه المسرحية: "الدجاجة لها بيت. . . . بيت الدجاجة اسمه القن. . . . العصفور له بيت. بيت العصفور بيته العش. . . . الأرنب له بيت. بيت الأرنب اسمه الجحر. . . أما أنا الفلسطيني فلا بيت لي. . . . لأن بيت فلسطيني يحي فيه الآن عدد الفلسطيني. . . . "[107].

ومسرحية "حفلة سمر. . . " هي أشهر مسرحيات سعد الله ونوس كتبهافور بعد هزيمة العرب على أيدي إسرائيل عام 1967م قد هاجم الكاتب فيها على الحكومة العربية الفاشلة بشكل حاد، وكشف عن أسباب الوضع الفاشل للولايات والدول العربية وانهيارها خلال الهزيمة، وإنه يكتشف الذرائع الممكنة لإعادة بنائها على أسس جديدة ومتينة لكي ينبه سكان العرب إلى أحوالهم إلى يستعدوا حياتهم السليمة والأمنية كما يرى الكاتب السوري أن هذه الهزيمة للعرب ليست هزيمة الجنود والمقاتلين فقط بل هي أكثر منها وأخطر منها وبل هذه نتائج طبيعيةللحكومة الدكتاتورية والفاسدة، نالت هذه المسرحية قبولا واسعا بين الأدباء والكتاب والناس أجمين حيث احتلت مكانا مرموقا عند اليونسكوولكن منع عرضها في سوريا مهجومها على الحكومة السورية وفشلها في الحرب مع إسرائيل.

كتب الكاتب هذه المسرحية بتقنية خاصة وجديدة، والتقنية هنا أنه جعل المسرحية خشبة للشكاوى والتعبير عما في ضمير الناس من مشكلاتهم بلا خوف وتردد لكي يعرف الناس كيف تقدم الأسئلة وكيف تعبر عن مشكلة الحياة وكيف تُرفع الأصوات ضد الظلم والاستبداد أمام الحكومة والمسؤولين ولهذا الغرض المهم تبدأ المسرحية على الخشبة متأخرة عن الوقت المحدود ومايجعل الناس يصرخون بسبب التأخير، في بداية المسرحية صارت خشبة المسرحية مكان

---

[107] نفس المصدر ص 80

التعبير والجدال، وجرت هذه الحالة وقتا طويلا حتى لاحق الكاتب هدفه الغالي: "يمكن تغييرالوقت بحسب برنامج المسرح الذي يقدمها. . . . لقد بدأ المتفرجون يتذمرون. . . . تزداد الضوضاء. . . . ما هذا ؟ لسنا عبيد آبائكم. . . . يا للمهزلة ! أهو فندق أم مسرح !. . . إيه. . . . . لم نأت كي ننام[108]. " هذه تقنية الكاتب التي تظهر في ذلك الوقت حينما كانت الحرب تطحن في طحين الحكومة الدكتاتورية وهيبة الحكومة كانت طارئة على الناس فكانت لهم عقول لا يفهمون بها، ولسان لا ينطقون به، وكان لهم أذن لا يسمعون به، وقد ذكر الكاتب هذه الأوضاع كلها بكل وضوح في مسرحية أخرى "بائع الدبس. . . . " حيث يفسد رجل الحكومة بائع الدبس الفقير مع تغيير أسمائه الثلاثة:حسن ثم حسين ثم محسن.

قد ناقشنا في هذه المسرحية تلك النقاط المهمة التي تدل على تصوير المعاناة الفلسطنية والتي قد أشار إليها الكاتب، ومن خلال هذه المسرحية نطلع علىتلك المعاناة بأنها ليست من جانب فقط بل مصادرها أكثر من زعمها وأشكالها أكثر من بيانها ومنها بعض الصور التي حاول ذكرها بكل وضوح، فالكاتب يشير إلى تلك المعاناة التي يعاني الناس من جانب الحكومة والسلطة، وهناك توجد الفجوة الواسعة بينهما وهذه الفجوة الواسعة تؤدي إلى الحكومة الفاسدة والدكتاتورية.

يقدم الكاتب البارع شخصية العجوز الذي يدرس الجغرافيا ويخرج من جيبه خريطة الدنيا ويقول بصوت مرتفع على خشبة المسرح أمام المتفرجين مشيرا إلى بعض البلدان العربية وحدودها خاصة أنه يشير إلى أرض فلسطين المحتلة ويزداد غضبه حتى يخرق خريطته أمام المتفرجين على خشبة المسرح وتنقلب الخريطة إلى مئات من الأجزاء وجعل يصرخ "منذ عشرين سنة وهو يبسط خريطته على الحائط، يخرج من جيبه ورقة كبيرة مطوية يفتحها أمام

[108] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 5

الجمهور هكذا يفعل ويبسط خريطته. . . . . الورقة تتمزق تماما كما تتمزق الأراضي التي لا تحمى[109]. " هذه المسألة عن الخريطة مهمة للغاية أنه مدرس مادة الجغرافيا يدرس هذه المادة في الجامعة أكثر من عشرين سنة هو يعلم جيدا عن حقيقة البلدان العربية وأراضيها وحدودها ولكن فجأة يجد المدرس أن حقيقة الخريطة في الحقيقة قد تغيرت وكثير من الأراضي والمدن أختطفت من فلسطين بطريقة وحشية ومنها الضفة الغربية مرتفعات الجولان وغيرها، فالأراضي ليست الأراضي بل معها آلاف من الإنسان ذبحت بشكل بربري. الكاتب يقدم مسألة انقطاع الأرض من فلسطين وسوريا ولبنان ومصر بأحسن طريق ممكن بأمثلة الخريطة ليعرف المتفرجون عن تمزق بلادهم وعن أهمية آراضيهم. والخريطة في الحقيقة خط على الورقة ولكن خلفيتها تدل أن السلطة العربية وأعوانها لم تستطع أن تحتفظ بأراضيها ومدنها مقابل القوة الصهيونية فالكاتب يكتب "من كل جهات. . . . ورقة تصبح غربالا. . . تصير أسلاء. . . وجسدا منقطع الأوصال. آه. . . . . سترجف يده وهو يلملم المزخ. . . سترتجف كالمرض أو كالشيخوخة. . . . القطع المسلوفة مهاجون. . . الأراضي وبيوت. . . . آ. . . . . سيقول لهم حتى ولو لم يضع إليه أحد إحذروا فقد تتمزق يوما النقطة الصغيرة التي عليها تنامون وتأكلون وتمارسون علاقاتهم الصغيرة[110]. "

ومن خلال مسرحية "حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران" يوضح لنا الكاتب قضية معاناة الفلسطينيين، حيث نرى في بداية المسرحية بعض اللافتات والملصقات التي تعلق على خشبة المسرح. وإنها تدل على وقت هجوم إسرائيل وكيفية هجومها. فنرى أنها تجعل تطلق القنابل اللامحدودة والرصاصات اللامعدودة. حتي تهتز الأرض بالصرخات ويزداد البكاء وتملأ السماء بالدخان. وتنتشر الجثث على الشوارع ويحوم ركب من الطيور على جثث الإنسان. وهذه هي

---

[109] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 123-124

[110] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص 125

معاناة الفلسطينيين. ولكن حرب سنة 1967م أثارت ضجة هائلة ضد السلطة العربية وأثرت على نفس الكاتب تأثيرا هائلا. وأجبرته على التفكير في سبب الهزيمة ونتائجها" في تمام الساعة التاسعة إلا ربعا من صباح الخامس من حزيران عام 1967، شنت اسرائيل دولة تمثل أخطر وأصعب أشكال امبريالية العالية، هجوما صاعقا على الدول العربية، فهزت جيوشها وأحتلت جزأ جديدا من أراضيها. لئن كان الهجوم قد كشف بجلاء أكثر حاجتنا لأن نري أنفسنا' لأن نتطلع في مرايانا لأن نتساءل: من نحن و لماذا ؟؟"[111]

وعلى هذه الشاكلة يصور الكاتب المعاناة الفلسطينية في هذه المسرحية. وهذا لأنه يذكر فيها تجربته الذاتية، أنها أكبر شيئ في تنمية الشخصية في الحقيقة. وتجربته هي أن الإنسان ليس حرا من حيث اللسان والأذن والقلم والفكر. وفي هذه الحالة كيف يربي أحد مادته الداخلية الجوهرية. فللسان حق أن يتركه حرا لكي يرفع الصوت ضد الظلم والإستبداد. وللقلم حق أن يتركه حرا لكي يكتب ضد النظام الفاشل" لا تتكلم. اللسان يغوي. الكلمة فخ . . أو لمصلحة الوطنية اقطعوا ألسنتكم . . . اذن نحن ملائين من الألسنة المقطوعة تتراكم خلف أبواب مغلقة، في أفواه مغلقة، في مراحيض مغلقة. . . هذا هوا وجودنا لتنصب المرآة . "[(112)] وهذه هي الحالة ولكن الناس من المتفرجين يفهمون وجوده وأهميته، وأهمية أسلحة الحرب ومسئوليتهم من خلالها. حيث نجده يكتب " كنا جميعا نريد السلاح . . . السلاح فقط . . . لم نطالب بألسنتا المقطوعة. . . . . لم نطالب بآذاننا المسدودة . . . لم نطالب بعقولنا المرمية . . . . . لم نطالب بكفاف العيش و هو ينقصنا. . . كنا نريد فقط ألا نقبل . كنا نريد أن نكون مسئولين.

---

[111] سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003ص ص5

[112] . نفس المصدر ص 115

من ذالك اليوم من حزيران، سالت بنا الشوارع، وكنا جميعا هذا الهتاف الوجيز الواضح. ماذا تطلبون؟ السلاح"[113]

وكما نعلم أن هذه الهزيمة هزت العرب هزة عنيفة. ذكر الكاتب عنهم في لسان الممثلين في المسرحية " انظر ماذا فعلوا بابني. . . أ نبقي لنري أطفالنا يحترقون، انظر إلى وجهه. . . ذبحت امرأتي . . . ذبحت إبنتي الصبيتين. . . ذبحت أهلي. . . يا ويل قلبي ماتت أمي. . . كان جسدها كالشجرة المورقة . آه. . . لو ترون كيف صار جسدها! الحرائق ! والجرحي ! أريضينا. . . أهلنا و بيوتنا. . . أزراقنا"[114]

لقد أظهر الكاتب براعته في المسرحية، فإنه يريد أن يرسخ هزيمة العرب في قلوب المتفرجين والمشاهدين وهيبتها لكي يحس العرب بهيبة الحرب ونتائجها الوخيمة. ولهذا الغرض، قد عرض المسرحي بعض الذكريات من الحرب" ونساء يولولن، ورجال يتراهنون على طول الطريق وقصرها. . . والأولاد يتصايحون حولنا. يختصمون ويتعاركون. فيتبعهم الأهل"[115].

هكذا نري الكاتب يذكر بعض تلك الحالات المؤلمة للفلسطسنيين من خلال الحرب ومصائبهم في حفظ نفوسهم وحياتهم وأولادهم وأسرتهم وبيوتهم ومدينتهم وبلادهم.

حيث يذكر المسرحي مشكلة فلسطيني يفزع من هجوم إسرائيل على فلسطين صباحا مبكرا ومن معاناة المظلومين. ومن هؤلاء المظلومين هناك رجل يخاف من صوت القنابل المتسلسلة فيريد أن يترك بيته ويسافر إلى مكان مجهول. فإنه يأخذ أمواله على حماره. ولكن لا يستطيع حماره أن يحمل أمواله ولذلك يترك أمواله الكثيرة في بيته المحتل باكيا لافتراق بيته

---

[113]. سعدالله ونوس، حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الثالثة2003 ص133

[114]. نفس المصدر ص 59-63

[115] سعدالله نفس المصدرص 78

وأمواله "حمل حماره كل مافي بيته من مؤونه . . . وكبا الحمار بعد أمتار. فغضب محمد علي دبا وجدف . . . لكنه فجأ أحذ يرفش إمرأته و الحمار"[116].

[116] نفس المصدر ص78-79

الخاتمة

وُلد سعد الله ونوس وترعرع في أسرة فقيرة وتلقى العلوم الابتدائية في حالة البؤس ولكن حبه للاستطلاع والاستزادة في العلوم والفنون المختلفة أخرجه من المشكلات وأدخله في بحيرة العلوم والفنون، منحته جامعة القاهرة منحة دراسية في الصحافة مكنته من الحصول على شهادة الليسانس. ثم حصلت له المنحة الأوربية لدراسة الفن المسرحي في جامعة السوربون بفرنسا، فحصل على الشهادة في المسرحية واطلع على أسرار الفن المسرحي ورموزه وخفاياه، وشارك في السياسة الطلابية أثناء دراسته في جامعة السوربون، وتدرب على المسرح الأوربي بعرض المسرحيات في شوارع فرنسا وأدرك أن المسرحية هي وسيلة قوية لتوعية الناس بالقضايا السياسية والاجتماعية، فاتخذ المسرح أداة له للعمل السياسي والاجتماعي، وبعد رجوعه إلى سوريا عكف على خدمة مجتمعه عن طريق الفن المسرحي، وبرز فيه علماً بارزا، بل من أبرز الأعلام، بل وصار قطبا عظيما في فن المسرحية العربية.

لقد قضى حياته الكاملة في خدمة المسرحية فأخرج عددا ملحوظا من المسرحيات القوية التي تناولت القضايا الاجتماعية والسياسية المهمة في أسلوب جديد سمي بـ"مسرحية التسييس"، وهي قضايا الفقر والبطالة والحرية والتفاوت الطبقي وظلم الحكومة على الرعية والفجوة الواسعة بين الحكام والمحكومين، وخير مثال على ذلك مسرحيته "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" التي أبرز فيها المسرحي قضية القيم الإنسانية في المجتمع، فالإنسانية تُحرق ليلا ونهارا وتُدمر بيوت المسلمين من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلية، وتُحطم أسر الفلسطينيين في داخل دولتهم. يُظلم الرجال والنساء في داخل بيوتهم وعلى الشوارع وفي السجون ويقمعون ويعذبون بأنواع

العذاب من قبل إسرائيل، وعن طريق ذلك كشف ونوس مدى جبانة الحكومات العربية وخواها ووهنها، وخاصة بعد نكبة عام 1967 التي كشفت مدى ضعف العرب العسكري وتفاهتهم أمام جبروت إسرائيل، والتي أوقعت المثقفين في هوة من الاكتئاب والإحباط الشديدين وفيهم كاتبنا سعد الله ونوس أيضا.

وفي مسرحيته "الفيل يا ملك الزمان" صور الكاتب ظلم الحكومة القاتل على المحكومين، والفجوة الواسعة بين الحاكم والمحكوم. وفي مسرحيتي" فصد الدم" و "المقهي الزجاجي" عرض بطالة الشباب العرب من مرحلة الصبا إلى الشيخوخة، وحياتهم الفاسدة في الحوانيت والمقاهي، وبعدهم عن الحياة الحقيقية والوعي السياسي. ومسرحياته "طقوس الإشارات والتحولات" و"الأيام المخمورة" و"أحلام شقية" و"اغتصاب" و"يوم من زماننا" وغيرها تعالج قضايا المجتمع العربي المختلفة منها علاقة الزوج والزوجة وحياتهما الممتعة والمريرة في الأسرة ودور الحاكم والمفتي في بناء الأسرة وتخريبها، وكذلك بعض القضايا الأخرى المهمة.

وبالاختصار وجدنا من خلال دراسة مسرحياته أنها تركز على أهم القضايا الاجتماعية، فكتب سعد الله ونوس ضد التخلّف والجهل والصمت ورفع صوته ضد حاكم الوقت الظالم، ونادي العرب خصوصا وشعوب العالم الثالث عموما إلى الحرية والاتحاد والتطور وإلى المجتمع المتطور السليم.

وأخيرا أود أن أقول أنني قد عرضت ما توصلت إليه من النتائج من خلال هذه الدراسة حسب مقدرتي واستطاعتي. ولا أدري هل أصبت أم لا، فإن أصبت فذلك فضل من الله وسبحانه وتعالى، وإن أخطأت فأرجو القراء أن يلتسموا لي العذر، والله المستعان وهو ولي التوفيق.

قائمة المصادر

1. سعد الله ونوس، مأساة بائع الدبس الفقير، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا 1965م.

2. سعد الله ونوس جثة على الرصيف، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا 1965م.

3. سعد الله ونوس المقهى الزجاجي، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا 1965م.

4. سعد الله ونوس حفلة سمر من أجل 5 حزيران، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا 1996م.

5. سعد الله ونوس الفيل يا ملك الزمان، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سوريا 1969م.

6. سعد الله ونوس فصد الدم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، سوريا 1964م.

7. سعد الله ونوس حكاية جوقة التماثيل الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا 1996م.

8. سعد الله ونوس لعبة الدبابيس، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996م.

9. سعد الله ونوس مغامرة رأس المملوك جابر، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا 1970م.

10. سعد الله ونوس الملك هو الملك، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا 1970م.

11. سعد الله ونوس رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة، دار الآداب، بيروت، لبنان 1990م.

12. سعد الله ونوس الاغتصاب، مجلة الحرية، بيروت، لبنان 1989م.

13. سعد الله ونوس طقوس الإشارات والتحولات، دار الآداب، بيروت، لبنان 1998م.

14. سعد الله ونوس أحلام شقية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا 1996م.

15. سعد الله ونوس يوم من زماننا، دار الآداب، بيروت، لبنان 1995م.

16. سعد الله ونوس ملحمة السراب، دار الآداب، بيروت، لبنان1996م.

17. سعد الله ونوس الأيام المخمورة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا 1997م.

18. سعد الله ونوس بيانات لمسرح عربي جديد، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان 1988م.

19. سعد الله ونوس طقوس الإشارات والتحولات دار الآداب، بيروت، لبنان 1998م.

قائمة المراجع الثانوية العربية:

1. تيايبية عبد الوهاب: توظيف التراث في مسرح سعدالله ونوس، بحث للدكتورة

جامعة الحاج لخضر الجمهورية الجزائرية الديقراطية الشعبية

2. عبد الفتاح جيأدباؤ مكرمون، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003م.

3. علي الراعي: المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1979م.

4. غادة الحسن ميكائيل: القومية في المسرح السوري، شركة الأمل للطباعة والنشر القاهرة 2009م.

5. عبد اللطيف رمضان: مسرح سعد الله ونوس، شركة المنابر للنشر والدعاية والإعلان، الكويت 1984م.

6. صلاح الدين أبو دياب: سعد الله ونوس الحضور والغياب، دار سعاد الصباح، الكويت 1997م.

7. فاطمة عيتاني: معاناة المريض الفلسطيني تحت الإحتلال الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان 2014م.

English Secondary Resources:

1. Allen, Roger: An Introduction to Arabic Literatur, Cambridge University Press, Cambridge, 2000.
2. Ali Naji Al Anezi: An Analytical Study of The Theatre of The Syrian Playwright Saadallah Wannous ،with particular emphasis on the Plays written after The 1967 War. Unpublished thesis (2006) of The University of Sheffield.
3. Badawi, M. M: A Short History of Modern Arabic Literatur, Clarendon Press ،Oxford University Press, 1993.
4. Beskova, Katarina: Sadallah wannous and the Theatre of Politicization ، (Research Article), Comenius University ،Slovakia, 2009.
5. Chomsky, Noam: The United States, Israel and the Palesttinians, Pluto Press, London, 1999

المجلات والجرائد

1. المجلة الأردنية للفنون اغتراب المرأة الفلسطينية في النص المسرحي العربي، مجلد 8 عدد 1 2015م.

2. مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها(فصلية محكمة) العدد 54 ربيع 2011/1390

3. إضاءات نقدية (فصلية محكّمة) العدد السابع – خريف ١٣٩١ ش/ أيلول ٢٠١٢ م.

4. مجلة عود الند

5. مجلة الفنون المسرحية

قائمة المحتويات

الأرقام	الموضوعات	الصفحات
1	المقدمة	2
	الباب الأول	
2	سعد الله ونوس وإسهاماته في المسرحية العربية	6
3	التمهيد	7
	الفصل الأول:	
4	سعد الله ونوس حياته ونشأته	8
5	سنتين في فرنسا	10
6	الآراء عن سعد الله ونوس	14
	الفصل الثاني:	
7	سعد الله ونوس وأعماله الأدبية	16
8	مراحل كتابة المسرح عند سعد الله ونوس	20
9	أسلوب مسرحية الكاتب	22
	الفصل الثالث:	
10	إسهاماته في المسرحية العربية	26
	الباب الثاني	
	القضايا الاجتماعية في مسرحيات سعدالله ونوس	
11	التمهيد	31

	الفصل الأول:	
12	قضايا المرأة في مسرحيات سعد الله ونوس	32
	الفصل الثاني:	
13	قضايا الفقر والتفاوت الطبقي والعدالة الاجتماعية في مسرحيات سعد الله ونوس	43
	الفصل الثالث:	
14	سعد الله ونوس والقضايا الاجتماعية العامة في المجتمع العربي	53
الباب الثالث		
15	قضية فلسطين في المسرحية العربية	
16	التمهيد	69
	الفصل الأول:	
17	عناصر المقاومة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس	72
	الفصل الثاني:	
18	تصوير المعاناة الفلسطينية في مسرحيات سعد الله ونوس	86
19	**الخاتمة**	97
20	**قائمة المصادر والمراجع**	100
21	**قائمة المحتويات**	106

“Social Issues in the Drama of Saadullah Wannous”

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University In fulfillment of

Requirement for the Award of the Degree of

Master of Philosophy

By

INAMUL AZAD

Under the Supervision of

Prof. Mujeebur Rahman

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University- New Delhi-67

2016